سلسلة البحوث العلمية

لطلاب كلية ابن عباس العربية، جالي

الموضوع : الحلول والاتحاد

اسم الطالب : حصن الرحمن بن فتح الرحمن

العام : 1429 هـ 2008 م

الرقم : 039

الحلول والاتحاد

إعداد : حصن الرحمن بن فتح الرحمن

إشراف : الأستاذ رفاق بن طاسم (العباسي)

السنة السابعة

كلية ابن عباس العربية

جالي - سريلانكا

١٤٢٩ هـ

٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . فبين صلى الله عليه وسلم العقيدة الصحيحة السليمة بأقواله وأفعاله وتقريراته .

والرضا عن الصحابة الذين تلقوا العقيدة الصحيحة والسنة النبوية عن النبي الكريم فحفظوها ونقلوها للناس .

والرحمة والمغفرة للسلف الصالح الذين تناقلوا العقيدة المطهرة وسنة النبي صلى الله عليه وسلم . فقد قال الله تعالى في قرآنه الكريم " **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** "[1] ، " **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** "[2] ، " **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولو قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** ."[3]

أما بعد ،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.[4]

وبعد :

---

[1] سورة آل عمران :١٠٢

[2] سورة النساء :١

[3] سورة الأحزاب ٧٠،٧١

[4] النسائي ١٦/٢٧

فإن الله خلق الجن والإنس لعبادته كما قال تعالى " **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**"[1] وأنزل الله الرسول لبيان حقيقة تلك العبادة كما قال تعالى " **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** "[2] فمن أبى أن يعبد الله فهو متكبر ومن عبد الله مع غيره فهو مشرك ومن عبد الله وحده بغير ما شرع الله فهو مبتدع ومن عبد الله وحده بما شرع الله فهو المؤمن الموحد .

ومن المؤسف جداً أن المسلمين اليوم يعيشون على العقيدة الفاسدة حيث تركوا حبل الله وأعرضوا عن هدي نبيه الكريم . فقد قال الله تعالى في كلامه التنزيل " **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** "[3] وقال النبي صلى الله عليه وسلم " ولقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك "[4] وقد عاش المسلمون في الماضي تحت ظلال القرآن والسنة الشريفة .

وأنا اخترت هذا الموضوع " الحلول والإتحاد " لأن هذه العقيدة الفاسدة سائدة ومنتشرة في أنحاء سريلانكا خاصة في الجنوب والشرق . علما بأن هذه العقيدة أخذ ينقص انتشارها في الشرق ولكن قد كثرت في الجنوب . وأنا أعيش في بلد من الجنوب وفيه رئيس من رؤساء هذه العقيدة الفاسدة. ونحن نواجه عدة مشكلات من قبل هؤلاء . لأنهم يبذلون أموالهم بلا حد لنشر هذه العقيدة الفاسدة .

أشكر لمن ساعدني لهذا البحث خاصة أستاذي الفاضل الشيخ رفاق بن طاسم - حفظه الله - وبارك فيه من جهود متميزة ومشكورة في إشراف هذا البحث . ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم الشكر إلى والدي العزيز فضيلة الشيخ فتح الرحمن بن عثمان حيث أدلى لى بآرائه وجهوده في هذا الموضوع .

أخوكم في الله

حصن الرحمن بن فتح الرحمن

١٩ / ١٠ /١٤٢٩هـ

١٩ / ١٠ /٢٠٠٨م

---

[1] سورة الذاريات :٥٦

[2] سورة النحل ٣٦

[3] سورة آل عمران ١٠٣

[4] سنن انب ماجه ١/٧

خطـــة البحثِ

مقدمة

الباب الأول :- الحلول والإتحاد

الفصل الأول :- تعريف الحلول والإتحاد لغة وشرعا

الفصل الثاني :- علاقة الحلول والإتحاد بنفي الصفات

الفصل الثالث :- الفرق بين الحلول والإتحاد

الباب الثاني :- وحدة الوجود

الفصل الأول :- تعريف وحدة الوجود

الفصل الثاني :- الفرق بين الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الباب الثالث :- أهم أشخاص في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الفصل الأول :- الحلاج ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الأول :- ترجمته

المبحث الثاني :- ذكر أشياء من حيل الحلاج

المبحث الثالث :- ذكر صفة مقتل الحلاج

المبحث الرابع :- أهم عقائد وأفكار الحلاج التي قتل على أساسها

الفصل الثاني :- ابن عربي ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الأول :- ترجمته

المبحث الثاني :- أفكاره

المبحث الثالث :- اقوال العلماء عنه

الفصل الثالث :- ابن الفارض ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الاول :- ترجمته

المبحث الثاني :- أفكاره

المبحث الثالث :- أقوال العلماء عنه

الفصل الرابع :- أبو حامد الغزالي ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الأول :- ترجمته

المبحث الثاني :- أفكاره

المبحث الثالث :- أقوال العلماء عنه

الباب الرابع :- كرامات

الفصل الأول :- تعريف الكرامات لغة وشرعا

الفصل الثاني :- مذاهب العلماء في الكرامات والراجح فيه\

الفصل الثالث :- بعض الكرامات التي وقعت في حياة الصوفيين

الباب الخامس :- أحوال سريلانكا في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الباب السادس : الرد على أهل الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الباب الأول :- الحلول والإتحاد

الفصل الأول :- تعريف الحلول والاتحاد لغة وشرعا

حلَ – نزل به

الحلول – النزول[1]

الحلول – اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر

مذهب الحلول – القول بأن الله حال في كل شيئ

الحلولية – فرقة من المتصوفة تعتقد مذهب الحلول[2]

اتحد – انفرد الشيئان أو الأشياء صارت شيئا واحدا[3]

---

[1] لسان العرب ١١\١٩٦

[2] المعجم الوسيط ص ١٩٣،١٩٤

[3] المعجم الوسيط ١٠١٤

الحلول والاتحاد

ولقد أصبح الحلول من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم ، وكتبهم مملوئة بذلك نثرا ونظما ، وقد اختلف العلماء في تعريف الحلول :

فمنهم من قال : هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد.

ومنهم من قال : هو اختصاص شيئ بشيء، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر.

واستعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والناسوت ، بمعنى أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة ، وهو مبدأ نصراني وأول من أعلنه من الصوفية الحسين بن منصور الحلاج ، حين عبر عن ذلك في أبياته الشعرية التي يقرر فيها أن الله تعالى حال في كل شيئ ، وأنه لا فارق بين الخالق والمخلوق .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فـإذا أبـصـرتـنـي أبصـرتـه وإذا أبصرته أبصرتنا

والقائلون بالحلول منهم من قصر الحلول وخصه ببعض الناس ، كقول النصارى بالحلول في عيسى عليه السلام ، وكقول بعض الغلاة الشيعة كالخطابية الذين اعتقدوا أن الله حل في جعفر الصادق ، والسبئية الذين قالوا بحلول الله في علي ، ومثله قول النصيرية فيه ، وقول الدروز بحلوله عزوجل في شخص الحاكم .

وفريق آخر قال بالحلول العام ، وأن الله حال في كل شيئ ، وأنه في كل مكان ، وهؤلاء تأثروا بالفلسفة الطبيعية عند اليوناني – وهم الجهمية ومن قال بقولهم .

ويمثل الحلول العام البستامي في قوله : " رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت : زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ". (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

وهذا الطلب الغريب العجيب يريد به أبو يزيد البستامي كما تقدم أن يحتال على الله عزوجل ليصبغ عليه الوحدانية ويرفع ما بينه وبين البستامي من الإنية بحيث إذا قال الله عزوجل " أنا "

وقال البستامي " أنا " انعدم الفرق بينهما ، وحينئذ يمثل البستامي الله عزوجل تمام المماثلة ، وإذا شوهد البستامي شوهد عند ذلك الخلاق العظيم - سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وليس هذا فقط , بل أحيانا يختلط الحابل بالنابل فيحصل بين الرب والعبد مد وجزر حسب ما يتصوره ابن عربي في قوله :

ففي حال أقربه وفي الأحيان أجحده

فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده

فإني بالغني وأنا أساعده وأسعده

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

ولعله بعد هذه المراوغة استقر الأمر على أن الله هو نفسه كل موجود على ظهر الأرض ؛ فهو العاشق والمعشوق, والرجل والمرأة , فالأجسام صور عنه , وذلك في قوله :

فمن ليلى ومن لبنى ومن هند ومن بثنه

ومن قيس ومن بشر أليسوا كلهم عينه

وفي قوله أيضا :

فعين الخلق عين الحق فيه فلا تنكر فإن الكون عينه

فإن فرقت فالعرفان باد وإن لم فاعتبر فالبين بينه

وقد ملأ كتابه الذي سماه بالفتوحات المكية أشعارا وشروحا لها حول هذا الاتحاد والحلول .

ويقول ابن الفارض عن الذات الإلهية كما يتصور.

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوا قبل حكم البنوة

وتظهر للعأشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة وآونة تدعى بعزة عزت

ومن هنا نشأ عند ابن الفارض الفوضى الفكرية في تداخل جميع الأديان الحق منها والباطل , حتى صارت بجميع أشكالها شكلا واحدا , فكأنه أراد أن يجمع بين الليل والنهار , والحار والبارد , والحق والباطل , فتصور أن الملل كلها حق سواء كانت شركية وثنية أو مجوسية أو نصرانية أو يهودية , الكل عنده يرجع إلى مصدر واحد وحقيقة واحدة هي الله .

وتائيته المشهورة مليئة بتأكيد هذا الخلط والاضطراب ، فهو بعد أن قرر أن جميع العبادات وجميع الأفعال التي تصدر عن الناس هي نفسها أفعال الله قال عن المجوس :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم سـواى وإن لـم يعقدوا عقد نيتي

رأوا ضوء ناري مرة فـتـوهـمـوه نارا فضـلوا فـي الهـدى بالأشـعـة

وكثير من مثل هذا الهذيان في أشعارهم هو وسائر غلاة الصوفية ممن هم على شاكلته أنهم يتصورون معبودهم يتجلى في صورة امرأة ؛ ولهذا تجد أن الصوفية يلهجون بذكر النساء ، ويرونهن أكمل وأتم وأجمل لتعينات الذات الإلهية التي يعتقدونها فيهن ، وهذا واضح جدا في تلك العناية التي لقيتها المرأة في الأدب الصوفي من التذلل لها والتشبيب بها والتفنن في وصفها.

ومما قاله ابن عربي في تقريره حلول الله تعالى عن كلامه في المرأة أن الأمر بالغسل ؛ لأن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره ، فلهذا أحب النبي صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا نشاهد الحق مجردا عن المراد ، فشهود الحق في النساء أعظم شهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح. قال : فمن جاء لامرأته أو لأنثى بمجرد الالتذاذ ولكن لا يدري بمن كما قال :

صح عند الناس أني عاشق غير أنهم لم يعرفوا عشقي لمن

كذلك هذا أحب الالتذاذ فأحب المحل الذي يكون فيه – هو المرأة - ، ولكن غاب عنه روح المسألة فلو علمها لعلم بمن التذ ؟ ومن التذ ؟ وكان كاملاً قال من شاهد الحق في المرأة كان شهوده في منفعل وهو أعظم الشهود ويكون حبا إلهيا

ومن هذا المفهوم الباطل تجرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأساء الأدب في حقه وافترى عليه بما لا يقدم مسلم يعرف ولو شيئا يسيرا عن الإسلام وعن نبيه العظيم الذي اعترف له كل من عرفه أو سمع عنه بأنه خير منقذ للبشرية ، عابدا لربه حق عبادته ، متواضعا ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لكن ابن عربي يقرر حسب مذهبه الرديء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحب النساء لكمال شهود الحق فيهن ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا البهتان.

بل قرر زعماء الإباحية والزنادقة العتاة ابن عربي وابن الفارض وغيرهما أن الله تعالى يتجلى في كل صورة حسنة في صورة الرجل والمرأة فيكون فاعلا ومنفعلا – تعالى الله عن كفرهم وإلحادهم علوا كبيرا ، وأن الله تجلى وأن الله تجلى في صور العاشقات المعشوقات ، ويطول النقل عنهم لو أردنا ذلك مما يأباه الدين وتشمئز منه النفوس وتمجه الفطر السليمة ويأباه الذوق.

وفي تفسير الحديث **"فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"**، "يذكر السهروردي أن المحب يعود بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب، أي بحيث تشترك الصفات بين المحب والمحبوب فلا يحصل بينهما أي فارق ، ثم استشهد على هذا الاتحاد والحلول بمبدأ اللحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فـإذا أبـصـرتـنـي أبصـرتـه وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول ابن عطاء الله السكندري في بيان حقيقة الولي :

"ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : لو كشف عن حقيقة الولي لعبد ؛ لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته" وقال أيضا في وجود الله تعالى وأنه لا خفاء به ولا حجاب عليه :

"كيف يتصور أن يحجبه شيئ وهو الذي ظهر بكل شيئ".

وفي الشطحات الصوفية وجرأتهم على قول كل ما يريدون ما لا يخفى على طلاب العلم.

ومما يذكر في سيرة ابن عربي أنه شغف حين كان بمكة بحب امرأة هي ابنة رجل يسمى الشيخ مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني ، ووصفها بأوصاف من الغزل بجمالها ما لا يحتمل المقام ذكره هنا ضمنه كتابة ترجمان الأشواق" ثم شرحه بطلب من رجلين من خاصته فشرحه في كتاب سماه (ذخائر الأعلاق).

حاول جاهدا أن يغطي ما قاله في تلك المرأة من العشق والغرام ليحوله إلى أنه قاله في الحب الإلهي ، ولكن لم يتم له ذلك ؛ حيث غلب الطبع التطبع، وليست هذه معشوقته الوحيدة ، بل هناك أخرى عشقها وهو يطوف حول البيت ، وقال فيها أشعارا غزلية ماجنة ، ولم يستشعر مقدار جرمه في الحرم الذي يعاقب الله فيه على مجرد النية ، ثم وصف تلك الأشعار بعد ذلك بالحب الإلهي تمويهًا وتغطية لمجون هذا الشيخ الصوفي الكبير ، فأين الحب الألهي في مثل قوله :

ليت شعري هل دروا أي قـلب ملـكوا

وفـؤادي لـو درى أي شعب سلـكوا

أتـراهـم سـلـمـوا أم تـراهم هلـكوا

حار أربـاب الـهـوى في الهوى وارتبكوا[1]

فالحلول والاتحاد عقيدتان كفريتان، ويظهر ذلك من خلال معرفة معناهما، أما الحلول فمعناه أن الله يحل في بعض مخلوقاته، ويتحد معها، كاعتقاد النصارى حلوله في المسيح عيسى ابن مريم، واعتقاد بعض الناس حلوله في الحلاج، وفي بعض مشايخ الصوفية، قال شيخ الإسلام رحمه الله : (وهؤلاء الذين تكلموا في هذا الأمر "الاتحاد العام" لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار، وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين، وذلك أن القسمة رباعية، فإن كل واحد من الاتحاد والحلول إما معين في شخص، وإما مطلق، أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصارى والغالية في

---

[1] فرق معاصرة ٨٤٠١٢- ٨٤٧

الأئمة من الرافضة، وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية، فإنهم يقولون به في معين: إما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن، وهو قول اليعقوبية وهم السودان، ومن الحبشة والقبط، وإما بالحلول، وهو قول النسطورية، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه، وهو قول الملكانية. وأما الحلول المطلق وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا يحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية، وكانوا يكفرونهم بذلك. فأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض، هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لأنه أمرمبهم. وأما الاتحاد فمعناه أن عين المخلوقات هو عين الله تعالى وهو ما سبق تسميته في كلام شيخ الإسلام الاتحاد العام.

وقال عنه في مكان آخر (فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو" فصوص الحكم" [لابن عربي] وأمثاله، مثل صاحبه القونوي والتلمساني وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم مذهبهم الذي هم عليه: أن الوجود واحد، ويسمون أهل وحدة الوجود، ويدعون التحقيق والعرفان، وهم يجعلون وجود الخالق، عين وجود المخلوقات، فكل ما يتصف به المخلوقات من حسن وقبيح، ومدح وذم، إنما المتصف به عندهم عين الخالق، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلاً، بل عندهم ما ثم غير أصلا للخالق ولا سواه. ومن كلماتهم: ليس إلا الله، فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم، لأنهم ما عندهم له غير، ولهذا جعلوا قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)[1] بمعنى قدر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه، إذ ليس عندهم غير له تتصور عبادته، فكل عابد صنم إنما عبد الله. ولهذا جعل صاحب هذا الكتاب: عباد العجل مصيبين، ... وفرعون من كبار العارفين المحققين، وأنه كان مصيباً في دعواه الربوبية... ويكفيك معرفة بكفرهم أن من أخف أقوالهم أن فرعون مات مؤمناً بريئاً من الذنوب...) إلى آخر ما ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- عنهم، مما يدل دلالة واضحة صريحة على كفرهم، وخروجهم عن الملة، نسأل الله الثبات على الحق. والله أعلم.[2]

الفصل الثاني : علاقة الحلول والإتحاد بنفي الصفات

الذين نفوا الصفات خرجوا قبل الحلولية والاتحادية، لأن الجهم بن صفوان قتل سنة ١٢٨هـ، وأما من قالوا بالحلول والاتحاد فقد أقيمت لهم أول محاكمة علنية حوالي عام ٢٨٠هـ أو بعدها، وذلك بعد أن أشيع في بغداد أنهم زنادقة، فجمع منهم الجنيد ، وذا النون المصري وعدد كبير من عبادهم يزيد عن ٨٠ رجلاً، وسجنوا وحقق معهم، ولكنهم قالوا: نَحْنُ نظهر الإسلام ونقيم الشعائر الخمس وليس عندنا أي زندقة، وأخذت التوبة عليهم، وكان الذي تولى شكواهم وإثارة

---

[1] سورة الإسراء:٢٣

[2] موسوعة الفتاوى islam web.net

الدعوة ضدهم هو غلام خليل أحد تلاميذ تلامذة الإمام أَحْمَدُ بن حَنْبَل -رحمه الله تعالى- وهذه القضية تعرف بقضية غلام خليل .

وقد بنوا مذهبهم عَلى مذهب نفي الصفات كالتالي :

قال أهل الحلول والاتحاد : مادام أن الصفات منفية وأن لله وجوداً مطلقاً لا صفة له، فهذا الوجود هو عين ذات الله.

فمن تأثر بعلماء الكلام إلى حد التجهم ونفى جميع الصفات، من الممكن أن يصبح عند الصوفية اتحادياً وحلولياً، لأنه لم يكن يثبت شيئاً إلا وجوداً مطلقاً، فأتى عند الصوفية فقالوا: هذا الوجود المطلق الذي لا صفة له هو هذه الأعيان الموجودة.

لأنه عندما قال أفلاطون : إن هناك عالم الموجودات وعالم المثل لم يره أحد ولم يسمع به أحد إلا أفلاطون ، وعالم أعيان مشاهد الوجود، فالحقيقي هو هذه الأعيان. فلو كَانَ موجوداً هذا الرب الذي يقوله أفلاطون ، فهو هذا الوجود الحقيقي الذي نراه بالعين، ومن هنا قالوا: إن كل العباد والعقائد والأديان هي تهدف إلى شيء واحد وإلى حقيقة واحدة، هي حقيقة الوجود وحقيقة الموجودات؛ لكن بعضهم عدَّد في الإشارة وبعضهم وحَّد.

فهم يقولون كما يقول شاعرهم: ما في الوجود حقيقة إلا هو، والصوفية يزيدون عَلى ذلك بعبارات روحانية فيقولون: إن الإنسَان إذا نظر بعين البصيرة والتأمل رأى أن هذا كله سراب، فالبشر والحجارة لاوجود لها أصلاً، إنما الوجود الحقيقي هو الله.

فمن هنا اجتمعت النظريتان، الكلامية والصوفية وأدتا إلى مدلول واحد، وهو إما: الحلول وإما: الاتحاد وهما متقاربان. فلذلك يذكر المُصنِّف هنا ما يلزم عليهم، فقَالَ: إن كفرهم أقبح من كفر النَّصَارَى، فالنَّصَارَى قالوا: إن الله حل في المسيح، وكفرهم الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [1] فهذا كفر، فكيف بمن قَالَ: إن الله هو هذه الحجارة وهذه الأشجار، فهذا أقبح وأشد كفراً.

ومن فروع هذا الكلام أو التوحيد عندهم: أن فرعون وقومه كاملوا الإيمان، عارفون بالله عَلى الحقيقة، ولذلك صرح ابن عربي بأن فرعون عندما قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [2] لم يكن مخطئاً، ولم يقل إلا الحق، لأنه ليس في الوجود إلا هو، فهو تكلم عن ذات الحقيقة الكلية وعن ذات الوجود.

ولذا قال الحلاج وأبو يزيد وغيرهم: "سبحاني سبحاني ما أعظم شأني" و"ما في الجبة إلا الله"!!.

وقال فرعون: "أنا ربكم الأعلى"، فكان كافراً فما الفرق بين العبارتين؟!

لا شك أن العبارتين واحدة ومدلولهما واحد، ولكنهم عكسوا القياس فقَالوا: الحلاج وأبو يزيد مسلمان مؤمنان مع قولهم: "سبحاني، سبحاني" وقولهم "ما في الجبة إلا الله" ففرعون هو كذلك مؤمن ومسلم وموحد فر من الشرك إلى التوحيد.

ولذلك يقول هَؤُلاء -ومنهم ابن سينا - : القُرْآن شرك كله، وإنما التوحيد عندنا، لأن الإثنينية شرك.

فإن قلت: خالق ومخلوق، وعابد ومعبود، فهذا شرك لأنك عددت.

وأما التوحيد فهو: اعتقاد أن كل الوجود واحد، وما في الوجود إلا هو.

قال الحلاج :

حتى لقد عاينه خلقه كنظرة الحاجب للحاجب

ولما قيل للحلاج إن هذا الكلام كفر قَالَ:

---

[1] المائدة:٧٢

[2] النازعات:٢٤

كفرت بدين الله والكفر واجبٌ عليَّ وعند المُسْلِمِينَ قبيح

يعني: نظرتكم نظرة كفر ولا يهمني هذا الذي تقولونه.

بل يقولون: إن موسى عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يدعو إلى الشرك، لأنه كَانَ يدعو إلى اثنين، وأما فرعون فهو الموحد، لأنه يدعو إلى شيء واحد، فهو ينطق بعين الحقيقة. ومن فروعه: أن عباد الأصنام عَلَى الحق والصواب لأنهم إنما عبدوا الله لا غير، لأن الوجود كله واحد -وجود مطلق- ولا موجود حقيقي إلا هو كما يقولون، فهذه الموجودات هي ذاته!!

ثمَّ يقول المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: [مما نلزمهم به التحليل والتحريم بين الأم والأخت والأجنبية] لأن الذي يثبت ذوات مختلفة فهو شخص معدد، والتوحيد عندهم أن الكل ذات واحدة، فما الفرق بين الأجنبية وغيرها؟! ولذلك وجد في سيرهم وكتبهم أنهم كانوا يتعاشرون بالإباحية فيقولون: هذا حلال في حقهم، وإنما التحريم في حق العوام لأنهم عَلَى الشرك، فتوحيد العوام أن يقولوا: "لا إله إلا الله"، وأن الله فوق السماوات، لأنهم لا يفهمون. وأما هم فقد عرفوا حقيقة التوحيد، وأن الأشياء كلها واحدة، وسقطت عنهم الحواجز، فلم يعد هذا حلال وهذا حرام.

وقد عقد ابن الجوزي في تلبيس إبليس فصلاً طويلاً عن الصوفية فيما يتعلق بالعشق الذي يجعلونه فيما بينهم -والعياذ بالله- فذكر كلاماً يندى له الجبين، ولا يكاد يصدقه أحد أو يفعله أحد من فساق المُسْلِمِينَ مجاهرة، فضلاً أن تكون هي أخلاق أولياء الله الذين هم القدوة وأوتاد الأرض، ولولاهم لنزل البلاء من السماء ولمحقت البركات، ومن عجائبهم: أن النوري -لما صاح غراب عَلَى المنارة- قَالَ: لبيك لبيك. قالوا: لماذا؟ قَالَ: الحق ناداني. فهل الحق في الغراب والعياذ بالله؟! وهذه كلها مرجعها إلى شيء واحد وهو: قضية الفناء الصوفي التي بنيت عَلَى قضية كلامية.

ثُمَّ قَالَ المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: [ومن فروعه أن الأنْبيَاء ضيقوا عَلَى النَّاس].

لأن الأنْبيَاء في نظرهم عينوا لهم معبوداً واحداً، بينما المعبودات في نظرهم كثيرة جداً، وعينوا لهم أنواع محدودة من العبادات.

فهذا دين الله الذي جَاءَ به الأنْبيَاء جميعاً عقيدة وعبادة وشريعة محددة، وأما هَؤُلاء فوسعوا عَلَى النَّاس وَقَالُوا: الآلهة والمعبودات والعبادات متعددة كله لله ومن الله، بل قالوا: إن الفاعل الحقيقي هو الله، وهنا تلتقي النظرية الجبرية مع النظرية الصوفية .

بل قالوا أشد من ذلك: أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله -هذا حقيقة التوحيد عندهم- والبشر وجودهم عارض لا قيمة له، فلو أن إنساناً أعطى فلاناً مبلغاً من المال فالمعطي الحقيقي هو الله، ولاشك أن الله هو الرازق، ولكن يجب أن ينتبه إلى أن هَؤُلاء يأتون بمثل هذه الأمثلة ثُمَّ يدخلون عليها أمثلة أخرى فيقولون: فإذا زنى الزاني ولا فاعل حقيقي إلا الله؟! -والعياذ بالله- فيجب أن يعلم أن هناك فرقاً بين الخالق للأسباب والفاعل للأسباب فكون الله هو خالق الأسباب هذا شيء، وكونه هو فاعل الأسباب جميعاً هذا شيء آخر، فالله خلقني وجعلني سبباً أن أعطي فلاناً هذا المبلغ من المال، ولا نقول: إن الله أعطى ذلك دون سبب مني. والجبرية والجهمية شيء واحد يقولون: إن البشر كالريشة في مهب الريح، فكل ما يفعله الإنسَان مقهور عليه، والله هو الذي قدره عليه. وهذه المقولة مع شناعتها وكفرها أقرب من كلام أولئِكَ إلى العقل.[1]

---

[1] موقع فضيلة الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي

الفصل الثالث: - الفرق بين الحلول والإتحاد

وهو أن الحلول: أن تحل الذات الإلهية -كما يقولون- في ذات أخرى، كما تقول النَّصَارَى في المسيح، حيث يقولون: إن الألوهية حلت في المسيح. فعندما كَانَ يحي الموتى كانت الألوهية هي التي تحي الموتى -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

والاتحاد: أن تقترن ذات بذات حتى تصبح شيئاً واحداً، فالذين قالوا: إن الله في كل مكان يقولون: هو حال بذاته في هذه الأمكنة وهو قول الحلولية ، أو يقولون: اتحد بهذه الأمكنة فأصبح شيئاً واحداً وهو قول الاتحادية .

فالمتكلمون الجهلة بصفات الله عَزَّ وَجَلَّ قالوا بالحلول في حق الله وأنه تَعَالى في كل مكان.

أما أولئِكَ الذين قالوا بالاتحاد فهم أصلاً أصحاب نظرية الفناء الهندية الصوفية الذين قالوا: إن الله يُعبد ثُمَّ يُعبد ثُمَّ يُتَقربُ إليه، وتصفى الروح تماماً بالزهد والعبادة والمشي في الفلوات وسكنى المغارات وغير ذلك، حتى تتحد بالذات الإلهية الواحدة وتصبح شيئاً واحداً.

ودين الصوفية أعظم شراً من النَّصَارَى، لأن النَّصَارَى قالوا: إنه تَعَالى حل بالمسيح. وهَؤُلاء قالوا: إنه حل أو اتحد بكل شيء، فكل شيء هو عينه وهو ذاته، وفي ذلك يقول ابن عربي :

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أنى يكلف

وكما قال في أبيات أخرى:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

وكما قال في أبيات أخرى:

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

يعني: محبة الله أو العشق الإلهي المطلق، وهي محبة الزنادقة كما قال علماء السلف :

[من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري خارجي، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الحنيفي].

فهم يقولون بالحب المطلق، ولذلك يستحلون جميع المحرمات حيث يقولون: إنك إذا أحببت شخصاً وأحبك هو كذلك، لم تغضب إذا أخذ من مالك شيئاً أو أخطأ عليك لوجود المحبة بينك وبينه، ونحن بيننا وبين الله المحبة المطلقة والفناء في ذاته، فلا نبالي بأي معصية نعملها، لأن المحب من عادته التجاوز عن المحبين، ثُمَّ يستدلون بأشعار العرب مثل من يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

إلى أن يقول:

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمن اللوم

ومثل من يقول:

يا حبيباً من أجله أحببت العمر وأوقفت كل عمري عليه

فهم ينقلون هذه المعاني ويجعلونها في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ويقولون: إنه مادام الحبيب لا يؤاخذ حبيبه في أي شيء فليس هناك أي حرج.

وقد رد الله عَلى اليهود والنَّصَارَى حين ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه فقالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] بل الأنبيَاء كذلك، فآدم عندما عصى جازاه الله عَلى معصيته، والخطيئة التي أخطأها داود عَلَيْهِ السَّلام بكى عليها وندم، بل هدد الله الأنبيَاء تهديداً فقالَ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].[١]

[١] موقع الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي

الباب الثاني :- وحدة الوجود

وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ، ومفادها أنه لا شيئ إلا الله وكلما في الوجود يمثل الله عزوجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق ، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيئ سواه البتة ، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية .

وهذا هو المبدأ الذي قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال : سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ، وتجرأ على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن الكريم زاعمًا أن الله أطلق اسم الوجود على نفسه كما في قوله تعالى : (ووجد الله عنده)سورة النور :٣٩ ، (لوجدوا الله توابا الرحيما) سورة النساء٦٤، (يجد الله غفورا) سورة النساء ١١٠، واستدل بأحاديث موضوعة مثل حديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به القائل

إذ كيف يتأتى لهم القول أن القرآن والسنة يدعوان إلى الإلحاد والكفر بالله ؟ ولا شك أن هذه العقائد الإلحادية قديمة جدًا في العبادات الهندية والديانات البوذية . وقد انقسم أصحاب هذه المبادئ الإلحادية فريقين :

الفريق الأول : يرى أن الله سبحانه وتعالى روحًا ، وأن العالم جسمًا لذلك الروح، فإذا سما الإنسان وتطهر التصق بالروح أي بالله .

الفريق الثاني : وهؤلاء يزعمون أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله . فكل شيئ في زعمهم هو الله تجلى فيه

والإسلام بريئ من هذه الأفكار المنحرفة الخرافية كلها (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)سورة الحديد: ٣ ، وهؤلاء يقولون أن الله مادام وهو أصل وجود هذه الممكنات المشاهدة فكأن الموجودات في حكم العدم ، والوجود الحقيقي هو الله الذي تجلى في أفعاله ومخلوقاته ، وبالتالي فإن العقائد كله حق والناس لا خلاف بينهم حقيقة ، والديانات كلها ترجع إلى عقيدة واحدة ، وهذا لا شك أنه خلط وانحرف شنيع أدى بمن اعتنقه إلى خذلان المسلمين وترك أمر الجهاد .

ولهذا نجد أن المستشرقين اهتموا كثيرًا بدراسة ظاهرة التصوف؛ لأنها تحقق أهدافهم في إلهاء المسلمين وتفرق كلمتهم , وبالتالي فإنهم وجدوا فيها معينًا لهم على نشر الإلحاد وإنكار النبوات ونبذ التكاليف الشرعية والدعوة إلى القول بوحدة الأديان وتصويبها جميعا مهما كانت , حتى وإن كانت عبادة الحجر والشجر.

والواقع أنه ما من مسلم يشك في كفر أو إرتداد من قال بوحدة الوجود , وعلماء الإسلام حين حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود والحلول والإتحاد حكموا أيضا بكفر من لم ير تكفيرهم .

ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلآء : " إن كفر هؤلآء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب ".

ولقد وصل الهوس والجنون بابن الفارض – بناء على عقيدته أن الله هو عين كل شيء – وصل به الحال إلى أن يعتقد أنه هو الله حقيقة ؛ لأن الله حسب خرافاته هو عين كل شيء فهو على هذا يمثل الله – تعالى عن قولهم .

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول والإتحاد وصحة الأديان كلها , مهما كانت في الكفر إذ المرجع والمآل واحد , ومن هنا فهو يقول :

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما إعتقدوه

ويقول :

العبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأنى يكلف

ولابن عربي في كتابه " فصوص الحكم " , وكتابه الآخر " الفتوحات المكية " من الأقوال في وحدة الوجود ونفي الفرق بين الخالق والمخلوق وثبوت اتحادهما تمامًا أقوال لا تكاد تحصر نثرا ونظما. .

وأما ابن الفارض فإذا أراد الشخص أن يعرف عقيدته تمام المعرفة فليقرأ تائيته التي باح فيها بكل صراحة وتحد أن الله متحد بكل موجود , وأن ابن الفارض نفسه هو الممثل الكبير لله تعالى في صفاته وفي أفعاله ؛ ولهذا فإنه يفسر كل ما في الوجود بأنه يصح أن يقال فيه : إن الله أوجده أو كل موجود هو أيضا ذلك الموجد .

وأن كل عبادة تقام فإنها توجه له أو لله لا فارق بينهما إلا في ذكر الاثنينية التي هي أيضا لا وجود لها عند استجلاء الحقيقة حيث تتلاشى الاثنينية ويصبح الوجود واحدا ممثلا في كل شيء .

وإذا أردت تفصيل كل تلك الحقائق عنه فاقرء تائيته أو الأبيات الآتية ، وانظر شرحها عند الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه "هذه هي الصوفية".

يقول ابن الفارض عن الذات الإلهية وتجليها له :

جلت في تجليها الوجود لناظري ففي كل مرئى أراها برؤية

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا ... وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

وكل الجهات الست نحوي توجهت بما تم من نسك وحج وعمرة

لها صلواتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لها صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل سجدة

ويقول عن معنى سجود الملائكة لآدم , وأن الملائكة إنما هو صفة من صفاته لا خلق مستقل :

وفي شهدت الساجدين لمظهري فحققت أني كنت آدم سجدتي

شرحه الصوفي القاشاني بقوله :

" ٠أي عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهري فعلمت حقيقة أني كنت في سجدتي آدم تلك السجدة وأن الملائكة يسجدون لي والملائكة صفة من صفاتي , فللساجد صفة مني تسجد لذاتي " .

ومن عتاة دعاة وحدة الوجود الجيلي صاحب كتاب " الإنسان الكامل " وقد ترجم له الشعراني وأطال في ترجمته , ابتدأها بقوله :

" ومنهم أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه " . ثم جاء في أخباره بما لا يصدقه عاقل.

ومما يدل على تعمق الجيلي في القول بوحدة الوجود وأنه لم يعد بينه وبين الله أي فارق , ولا بينه وبين كل المخلوقات في هذا الكون أي فارق أيضا ما أورده في كتابه الإنسان الكامل :

لي الملك في الدارين لم أر فيها سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

وقد حزت أنواع الكمال جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

لي الملك والملكوت نسجي وصنعتي لي الغيب والجبروت مني منشاه

فمهما ترى من معدن ونباته حيوانه مع أنسه وسجاياه

ومهما ترى من أبحر وقفاره من شجر أو شاهق طال أعلاه

ومـــهـــما ترى مـــن صـورة معنوية من مشـهد للـعـين طـاب مـحياه

ومـــهـــما تـــرى مـــن هـيئـــة ملكية ومن مـــنظر إبليس قد كان معناه

ومـــهـــما تـــرى مـــن شـهوة بشرية طـبـع وإيـثـار لـحـق تـعاطاه

ومهمـا تـرى مـن عرشه ومحيطه كـرسـيـه أو رفرف عز مجلاه

فإني ذاك الـكل والكـل مـشـهدي نـا الـمـتجلـي في حقيقته لا هو

وإنـــي رب لـــلأنـــام وســـيـد جـمـيـع الورى اسم وذاتي مسماه

فالجيلي هو كل شيء والله هو أيضا كل شيء , من خير أو شر , من فسق أو فجور , الكل هو الله على حسب هذه العقيدة المجوسية .

ومن القائلين بوحدة الوجود ووحدة الشهود أبو حامد الغزالي , ولقد تأثر الناس به كثيرا ؛ لأنه كان في وقته يداري كل طائفة ويتودد إليها بالموافقة , وخفي أمره على كثير من الناس فلم يفطنوا إلى تعلقه بوحدة الوجود , وإن كان قد صرح بها كثيرا في كتبه , خصوصا إحياء علوم الدين , وفي هذا يقول عنه عبد الرحمن الوكيل :

" لاتعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب فللغزالي وجوه عدة كان يرائي بها صنوف الناس في عصره , فهو أشعر ؛ لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراده على ذلك , وهو عدو للفلسفة ؛ لأن الجماهير على تلك العداوة , وهو متكلم ولكنه يتراءى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة .

أما هو في كتبه المضنون بها على غير أهلها فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه , وفي كتبه الأخرى تجده أشعريا تارة وسلفيا مشوبا بأشعرية تارة أخرى , وهكذا كان يلقى كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبون لا يهمه أكان وجه حق أو وجه باطل " .

وأما بالنسبة لرجوعه عن غلوه في التصوف , أو عدم رجوعه فقد قرر بعض العلماء أن الغزالي رجع عن تلك الأقوال الصوفية , إلا أن بعضهم شكك في رجوعه وتوبته , ومن هنا يقول عبد الرحمن الوكيل :

" يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقا , ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعا من تراث الغزالي , فكل ما له من كتب في أيديهم تراث صوفي ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل بالكتاب وبالسنة " .

ومن أقوال الغزالي في وحدة الوجود كما جاءت في كتابه إحياء علوم الدين قوله في ثنايا بيانه لما سماه مراتب التوحيد.....:

" والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .

والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق , وهو مقام المقربين , وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .

والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحدا , وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد ؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا , وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق.

وفي هذا التعبير أمور تدل على وحدة الوجود ، وذلك فيما يلي:

١- وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد ، ويقصد به العقيدة السهلة الواضحة التي جاء بها الإسلام.
٢- في تقريره أن الذي يشاهد تلك الأمور عن طريق الكشف يراها كلها صادرة عن فاعل واحد هوالله تعالى ، وأنها عبارة عنه على ما فيها من خير وشر .
٣- قوله : لا يرى في الوجود إلا واحدا ، هذا هو عين القول بوحدة الوجود.

وعندما أورد استشكالا قد يرد في الذهن، وهو قوله :

"فإن قلت كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدا ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟

ولا شك أن هذا الاستشكال وارد ، وهو استشكال قوي جدا ويحتاج إلى جواب شاف ، فبماذا أجاب الغزالي عن هذا ؟ أجاب عن إيراد هذا السؤال بقوله :

:"فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العالم ، لا يجوز أن تستر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر" .

وهذا الجواب فيه اتهام لله بالتقصير في بيان أمر التوحيد ؛ حيث لم يبينه الله تعالى تمام البيان، ولا بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرفه أحد إلا أرباب الكشف الصوفي الذين يعرفون كل تفاصيل التوحيد إلا أنهم لا يحبون إفشاء سر الربوبية ؛ لأنه يؤدي إلى الكفر حسب هذا الزعم ، والواقع أنه قد صدق، فإن هذا التوحيد الذي لا يعرفه إلا أصحاب الكشف هو نفسه التوحيد الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق وهو أمر لا يقر به أحد من المسلمين.

أما الجواب الثاني فهو مثل ضربه يفيد أنه قد يحصل تعدد أشياء في شيئ واحد دون فارق بينهما؛ وذلك كالإنسان وأعضائه فهو إنسان واحد ولكن له أعضاء كثيرة ؛ روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشاؤه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد أي إنسان.

وهذا الجواب أردأ من الذي قبله ، يريد أن يثبت لنا القول بوحدة الوجود قياسا على الوحدة المتكاملة بين الإنسان وأعضائه، وأردأ من هذا أيضا جعله هذه الأوصاف هي نفسها الفناء في التوحيد حسب ما أورده عن موقف جرى بين الحلاج والخواص.

حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال: في ما ذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل ، فقال الحسين –الحلاج- : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث فطالبه بالمقام الرابع.

أي أن الحلاج كان في المقام الثالث أو الرتبة الثالثة في التوحيد ، وهي أنه يرى الأشياء هي نفسها "الله". ولكن بطريق الواسطة والكشف فطالبه الخواص – والغزالي لإقراره كلام الخواص – بأن يرتقي إلى الدرجة الرابعة في تحقيق التوحيد ، وهي أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي (الفناء في التوحيد) بدون واسطة ولا كشف وبها يتحقق التوحيد.

وفي كتاب مشكاة الأنوار للغزالي تصريح بوحدة الوجود في أكثر من موضع ، ةقد فندها الشيخ عبد الرحمن الوكيل وأظهر عوارها.

ومن كبار القائلين بوحدة الوجود عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين حيث قال محاكيا ابن الفارض في تائيته وفي معتقده أيضا.

تجلى لـي الـمحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة

وخـاطـبـنـي منـي بكشف سرائر تعالت عن الأغيار لطفا وجلت

فـقـال أتدري من أنا؟ قلت أنت يا منادى أنـا إذ كنت أنت حقيقتي

نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة بغير شريك قد تغطت بكثرة

تـكـثـرت الأشـيـاء والـكـل واحد صفات وذات ضمنا في هوية

فأنـت أنـا لا بـل أنـا أنـت وحـدة منزهة عن كل غير وشركة

وقد اختار نقل هذه الأبيات من تائية ابن عامر الشيخ عبد الرحمن الوكيل وهي صريحة لا لبس فيها على ما يذهب إليه أهل وحدة الوجود الذين يرون أنه لا يكتمل إيمان العبد ولا يصل إلى الله إلى إذا تلاشت "أنا" من نفسه فأصبح في لجة جمع الجمع ورفع الاثنينية.

وقد سلك هذا المسلك في الاعتقاد بوحدة الوجود جماعد أخرى من الصوفية يمكن إحالة القارئ للاطلاع على كلامهم إلى كتاب الشيخ عبد الرحمن الوكيل ؛ حيث ذكرنصوصا كثيرة عنهم نثرا ونظما، ومن أولئك محمد بن إسحاق المشهور بالقونوي وعبد الغني بن إسماعيل المشهور بالنابلسي وعبد السلام بن بشيش أو مشيش وهو من كبار شيوخ الشاذلية ، ومحمد الدمرداش المحمدي ، وأحمد بن عجيبة الإدريسي وحسن رضوان.

وكل واحد من هؤلاء قد أدلى بدلوه وخاض فيما ليس له بحق وحاول تثبيت عقيدة وحدة الوجود بكل ما أمكنه من الكلام نثرا ونظما مما قد يطول نقله وتثقل قراءته؛ إذ إنهم لا يختلفون إلا في الألفاظ فقط والمورد واحد .[1]

الفصل الثاني : الفرق بين الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الفرق بين الحلول والإتحاد ووحدة الوجود أن أهل الحلول يثبتون موجودين خالق ومخلوق ويقولون أن الخالق حال في المخلوق وأن المخلوق ترقي إلى الخالق أما أهل وحدة الوجود فلا يثبتون إلا موجودا واحدا ويقولون أن كل ما في الوجود إلا الله.

[1] فرق معاصرة ٢\٨٤٧-٨٥٨

الباب الثالث : أهم أشخاص في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

الفصل الأول : الحلاج ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء فيه

المبحث الأول : ترجمته

هو الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث ويقال أبو عبد الله , كان جده مجوسيا اسمه محمى من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء , ولد بحدود سنة ٢٤٥ ه (٨٥٨م) ونشأ بواسطة , ويقال بتستر , ودخل بغداد وتردد إلى مكة مرارا للحج وجاور بها سنوات متفرقة , وكان يصابر نفسه ويجاهدها , ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد في البرد والحر ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلا من الماء معه وقت الفطور سنة كاملة , وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس , وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية , كالجنيد بن محمد وعمرو بن عثمان المكي , وأبي الحسين النوري .[1] وصحب سهل بن عبد الله التستري ، ثم قدم بغداد فصحب الجنيد والنوري وتعبد فبالغ في المجاهدة والترتب ، ثم فتن ودخل عليه الداخل من الكبر والرئاسة فسافر إلى الهند وتعلم السحر ، فحصل له حال شيطاني وهرب منه الحال الإيماني ، ثم ندت منه كفريات ت دمه وكسرت صنمه، واشتبه على الناس السحر بالكرامات فضل به خلق كثير كدأب من مضى ومن يكون إلى مقتل الدجال الأكبر ، والمعصوم من عصمه الله وقد جال هذا الرجل بخراسان وما وراء النهر والهند، وزرع في كل ناحية زندقة ، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث ، ومن بلاد الترك بالمقيت لبعد الدار عن الإيمان ، وأما البلاد القريبة فكانوا يكاتبونه من خراسان بأبي عبدالله الزاهد ، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار ، وسماه أشياعه ببغداد : المصطلم ، وبالبصرة : المحير ، ثم سكن بغداد في حدود الثلاثمائة وقبلها ، واشترى أملاكا وبنى دارا وأخذ يدعو الناس إلى أمور ، فقامت عليه الكبار ، ووقع بينه وبين الشبلي والفقيه محمد بن داود الظاهري والوزير علي بن عيسى الذي كان في وزارته كابن هبيرة في وزارته علما ودينا وعدلا ، فقال ناس : ساحر ، فأصابوا ، وقال ناس : به مس من الجن ، فما أبعدوا ، لأن الذي كان يصدر منه لا يصدر من عاقل ، إذ ذلك موجب حتفه ، أو هو كالمصروع أو المصاب الذي يخبر بالمغيبات ولا يتعاطى بذلك حالا، ولا أن ذلك من قبيل الوحي ولا الكرامات ، وقال ناس من الأغتام : بل هذا رجل عارف ولي لله صاحب كرامات فليقل ما شاء فجهلوا من وجهين : أحدهما أنه ولي ، والثاني : أن الولي يقول ما شاء فلن يقول إلا الحق ، وهذه بلية عظيمة، ومرضة مزمنة ، أعيا الأطباء داؤها وراج بهرجها وعز ناقدها والله المستعان . قال أحمد بن يوسف التنوخي الأزرق : كان الحلاج يدعو كل وقت إلى شيئ على حسب ما يستبله طائفة ، أخبرني جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس بالأهواز لما يخرج لهم من الأطعمة في غير وقتها والدراهم ويسميه دراهم القدرة ، حدث الجبائي بذلك فقال : هذه الأشياء تمكن الحيل فيها ، ولكن أدخلوه بيتا من بيوتكم وكلفوه أن يخرج منه جزرتني شوك ، فبلغ الحلاج قوله ، فخرج من الأهواز . وروي عن عمرو بن عثمان المكي أنه لعن الحلاج وقال : قرأت آية من القرآن ؟ فقال : يمكنني أن أؤلف مثلها ، وقال

---

[1] البداية والنهاية ٥١٩،٥٢٠١٧

أبو يعقوب الأقطع : زوجت بنتي بالحلاج ، فبان لي بعد أنه ساحر محتال . وقال الصولي جالست الحلاج فرأيت جاهلا يتعاقل ,وعييا يتبالغ , وفاجرا يتزهد , وكان طاهره أنه ناسك , فإذا علم أن أهل بلد يرون الإعتزال صار معتزليا , أو يرون التشيع تشيع , او يرون التسنن تسنن , وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب , ويتنقل في البلدان ويدعي الربوبية , ويقول للواحد من أصحابه : أنت آدم , ولذا : أنت نوح , ولهذا : أنت محمد , ويدعي التناسخ , وأن أرواح الأنبياء انتقلت إليهم .[1]

قال الخطيب البغدادي : والصوفية مختلفون فيه , فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم وأبى أن يعده فيهم , وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي , ومحمد بن خفيف الشيرازي ، وإبراهيم بن محمد النصر أباذي النيسابوري ، وصححوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم رباني .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي – واسمه محمد بن الحسين – سمعت إبراهيم بن محمد البصر أباذي وعوتب في شيئ حكي عن الحلاج في الروح فقال للذي عاتبه : إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج .

قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشبلي يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا ، إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روى عن الشبلي من وجه آخر أنه قال ، وقد رأى الحلاج مصلوبا . ألم أنهك عن العالمين ؟

قال الخطيب : والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة في فعله ، وإلى الزندقة في عقله. قال : وله إلى الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه. وقد كان الحلاج حسن العبارة حلو المنطق ، وله شعر على طريقة الصوفية. قلت: لم يزل الناس / منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره ، فأما الفقهاء فقد حكي عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله ، وأنه قتل كافرا ، وكان كافرا ممخرقا مموها مشعبذا ، ةبهذا قول أكثر الصوفية فيه. ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه ، وغرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله ، فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك ، ولكن لم يمكن له علم . ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان . فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وعن سفيا بن عيينة أنه قال : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ، ةلهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والانحراف. وقد روى من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان ، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل. وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال : أدعو به إلى الله ، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث – أي أنه من رجال الغيث – ويكاتبونه أهل خراسان بالمقيت. >ويكاتبونه أهل خراسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد < وأهل خوزستان بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار. وكان بع ض البغاددة حين كلن عندهم يقولون له : المصطلم. وأهل البصرة يقولون له : المحير ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان

---

[1] الفرق بين فرق ٢٢٨،٢٢٩ صفحة

يكاشفهم عما في ضمائرهم، وقيل لأنه مرة قال الحلاج : اذهب في حاجة كذا وكذا ، فقال : إني مشغول بالحلج ، فقال : اذهب فأنا أحلج عنك ، فذهب ورجع سريعا فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه ، يقال إنه أشار بالمرو د . فانماز الب عن القطن ، وفي صحة هذا > ونسبته إليه نظر ، وإن كان قد جرى مثل هذا ، فالشياطين تعين أصحابها < ويستخدمونهم. وقيل لأن أباه كان حلاجا . ومما يدل على أنه قد كان ذا حلول في يده أمره أشياء كثيرة ، منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله :

جبلت روحك في روحي كما يجبل العنبر في المسك الفنق

فإذا مسك شيئ مسني وإذا أنت أنا لا نفترق

وقوله :

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيئ مسني فإذا أنت أنا في كل حال

وله أيضا :

قد تحققتك في سر ي يخاطبك لساني

فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان

إن يكن غيبك التعظيـ م عن لحظ العيان

قد صيرك الوجـ د من الأحشاء دان

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاج .

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فقال ابن عطاء : قال هذا ما تزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف ، واحتلاق الأسف ، فإذا صفا/ ووفى علا إلى مشرب عذب وهطل من الحق دائم سكب. وقد أنشد عبد الله بن خفيف قول الحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال ابن خفيف : علا من يقول هذا لعنه الله ؟ فقيل له : إن هذا من شعر الحلاج، فقال : قد يكون مقولا عليه. وينسب إليه من الشعر قوله :

أرسلت تسأل عني كيف كنت وما لاقيت بعدك من هم وحزن

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولالا كنت أدري كيف لم أكن

قال القاضي ابن خلكان : ويروى لسمنون لا للحلاج . ومن شعره أيضا قوله :

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت فلا أعطيت ما أملت وتمنت

وإن أضمرت نفسي سواك فلا زكت رياض المنى من وجنيك وجنت

وقد كان الحلاج يتلون في ملابسه ، فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة يترجد في ملابس زرية ، وتارة يلبس لباس الأجناد ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد. وقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة وبيده ركوة وعكاز وهو سائح فقال له : ما هذه الحال يا حلاج ؟ فأنشأ يقول :

لئن أمسيت في ثوبي عديم لقد بليا على حر كريم

فلا يغررك أن أبصرت حالا مغيرة عن الحال القديم

فلي نفس ستتلف أو سترقى لعمرك بي إلى أمر جسيم

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشيئ ينفعه الله به . فقال عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلى شغلتك عن الحق . وقال له رجل : عظني. فقال :كن مع الحق بحكم ما أوجب وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال : علم الأولين واللآخرين مرجعه إلى أربع كلمات : حب الجليل ، وبغض القليل ، واتباع التنزيل وخوف التحويل.

قلت : وقد أخطأ الحلاج في المقامين الأخيرين ، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة بل تحول عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة . نسأل الله العافية.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي : أنه قال : كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا ، ففارقته.

وقال الخطيب : حدثني مسعود بن ناصر / أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول : الناس فيه ـ يعني حسين بن منصور الحلاج ـ بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدي . فقلت له : إيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال : قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به .

قال أبو زرعة الطبري : وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتي من الحسين بن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده ، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر . قلت : كان تزويجه بها بمكة ، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع

فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور ، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب . وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلاوب المشايخ : أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئا في أوراق فقال له : ما هذا ؟ فقال هوذا أعارض القرآن. قال : فدعا عليه فلم يفلح بعدها ، وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته . وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتبا كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه ، فشرد الحلاج في البلاد فعاث يمينا وشمالا ، وجعل يظهر للناس أنه يدعو إلى الله عز وجل وستعين بأنواع من الحيل ، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق ، والله أعدل من أن يسلطه على صديق ، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم ، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل، وقد قال تعالى ومن يرد فيه بإلحاد نذقه من عذاب أليم ولا الحاد أعظم من هذا . وقد أشبه الحلاج كفاره قريش في معاندتهم ، الذي قال الله تعالى عنهم : وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين [1]

المبحث الثاني : ذكر أشياء من حيل الحلاج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد ، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته ، قال لهم : يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيئ مم تفعلون ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رآى > رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له : إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني ، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج : إني سأقدم عليك في ذلك الوقت. فذهي ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حينا على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد زمن ، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شيئ ، فقال لهم : يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئا وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي : إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب ، وإنه سيقدم في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني ، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان في الوقت الذي ذكر لهم ، واتفق هو والحلاج عليه < أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض ، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد ، >فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل،< فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتحمسون به ، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخربه بخبره ، فقال لي : صفوه لي ، فوصفوه له فقال : هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام ، وأن شفائي على يديه ، اذهبوا بي إليه . فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال : يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام . ثم ذكر له ر}ياه ، فرفع الحلاج يديه >/ فدعا له ثم تفل من ريقه في كيفه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيئ والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده ، فضج الناس ضجة

---

[1] البداية والنهاية ١٧ ٥٢٠-٥٢٣

عظيمة وكبروا الله وسبحوه وعظموا الحلاج تعظيما زائدا على ما أظهر لهم من الباطل والزور. ثم قام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم . فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيرا فقال : أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا ، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذي يجاهدون بثغر طرسوس ، ويحجون ويتصدقون ، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك . فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى : صدق الشيخ ، قد رد الله علي بصري ومن الله علي بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله ، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذي نعرفهم ، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم . ثم أن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيرا ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم <فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال.

وروى عن بعضهم قال : كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات فأحببت أن أختبره فجئت فسلمت عليه فقال لي : تشتهي علي الساعة شيئا ؟ فقلت : أشتهي سمكا طريا . فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج علي ومعه سمكة تضطرب ورجلاه عليهما الطين فقال : دعوت الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة ، فإن ظهرت على شيئ وإلا آمنت بك. فقال : ادخل ، فدخلت > فأغلق علي الباب وجلس يراني < فدرت البيت فلم أجد فيه منفذا إلى غيره ، فتحيرت في أمره ثم نظرت فإذا تأزير فكشفته فإذا من ورائه باب فدخلت فخرجت منه إلى بستان هائل ، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة، قد أحسن إبقاءها . وإذا أشياء كثيرة معدودة للأكل ، وإذى هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير كبار وصغار ، فدخلتها فأخرجت منه واحدة فنال رجلي من الطين مثل الذي نال رجليه ، فجئت إلى الباب فقلت : افتح قد آمنت بك. فلما رآني على مثل حاله أسرع خلفي جريا يريد أن يقتلني. فضربته بالسمكة في وجهه وقلت : يا عدو الله أتعبتني في هذا اليوم. ولما خلصت منه لقيني بعد أيام فضاحكني وقال : لا تفش ما رأيت لأحد وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك. قال : >فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه < فلم أحدث به أحدا حتى صلب.

وقد قال الحلاج يوما لرجل : آمن بي حتى أبعث إليك بعصفورة تأخذ من ذرقها وزن حبة فتضعه على كذا وكذا رطلا من نحاس فيصير ذهبا . فقال له الرجل : آمن أنت بي حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء , وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك . قال : فبهت وسكت . ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق والشعوذة وغيرها من الأحوال الشيطانية , وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل . وقد استدعى يوما برئيس من الرافضة فدعاه إلى الأيمان به فقال له الرافضي : إني رجل أحب النساء وإني أصلع الرأس , وقد شبت , فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت بك وأنك الإمام المعصوم , وإن شئت قلت إنك نبي , وإن شئت قلت إنك أنت الله. / قال : فبهت الحلاج ولم يحر له جوابا.

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي : كان الحلاج متلونا كثير التلون وتارة يلبس المسوح، وتارة يلبس ___ وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم : إن كانوا أهل سنة أو رافضة

أو معتزلة أو صوفية أو فساقا أو غيرهم ، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القرة ، فسئل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال : إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة ، ولكن أدخلوه بيتا لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جوزتين من شوك . فلما بلغ ذلك الحلاج تحول من الأهواز.[1]

المبحث الثالث : ذكر صفة مقتل الحلاج

صفة مقتل الحلاج قال الخطيب البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج قد أضل خلقا من الحشم والحجاب في دار السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيى الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه. قال: إنه أحيا عدة من الطير.

وذكر لعلي بن عيسى أن رجلا يقال له محمد بن علي القنائي الكاتب يعبد الحلاج ويدعوا الناس إلى طاعته فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود. ووجد عنده سفطا فيه من رجيع الحلاج وعذرته وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده. فطلب الوزير من المقتدر أن يتكلم في أمر الحلاج ففوض أمره إليه، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج فتهددهم فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إله مع الله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به في وجهه، فجحد ذلك وكذبهم وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أ عبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك. وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، ويكثر أن يقول: سبحنك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا، والمدرعة واصلة إلى ركبتيه، والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضا، وكان مع ذلك يصلي في كل يوم والليلة ألف ركعة.

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، مأذونا لمن يدخل إليه، وكان يسمى نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه، وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة رقاها فزالت عنها، فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العبساس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته، وأنه ساحر ممخرق.

ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي، والآخر يقال له الدباس، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئا كثيرا، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال: قومي إلى الصلاة ؟ وإنما كان يريد أن يطأها. وأمر ابنتها بالسجود له فقالت: أو يسجد البشر لبشر ؟ فقال: نعم إله في السماء وإله في الارض. ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك ما أرادت، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة.

ولما كان معتقلا في دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه، فوجده قد ملا البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام> وفزع فزعا شديدا<، وألقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام، ورجع محموما فمرض عدة أيام.

---

[1] البداية والنهاية ١٧ ٥٢٣-٥٢٨

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجئ بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه: من أراد الحج ولم يتيسر له فليبن في داره بيتا لا يناله شئ من النجاسة ولا يمكن أحدا من دخوله، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصا قميصا، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج، وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان. ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لا يفطر إلا على شئ من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا ؟ فقال: من كتاب الاخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن بمكة ليس فيه شئ من هذا. فأقبل الوزير على القاضي فقال له: قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا علي ما يبيحه، واعتقادي الاسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجودة في الوارقين فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إليه ولا إلى شئ مما يقول. وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الامر. ورد الحلاج إلى محبسه وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول له: إن أمر الحلاج قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان وقد افتتن كثير من الناس به. فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة. وليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة فسلمه إليه وبعث معه طائفة من غلمانه يصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفا من أن يستنقذ من أيديهم. وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من هذه السنة، وهو راكب على بغل عليه إكاف وحوله جماعة من أعوان السياسة، على مثل شكله، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ويدعو دعاء كثيرا.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول قال أبو الحديد - يعني المصري -: لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحلاج قام يصلي من الليل فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائما فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدى ما شئت من شأنك ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إله وفي الارض إله، تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الورح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم إني أوعزت إلى شاهدك لاني في ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعدا في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي، إني اختصرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات. ولججت في الجاريات، وأن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لاعظم من الراسيات. ثم أنشأ يقول:

أنــعي إلــيك نـفوسا طاح شاهدها فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم

أنـعي إليك قـلوبا طـالما هطلت سـحائب الوحـي فيها أبحر الحكم

أنـعي إليك لسان الحق منك ومن أودى وتـذكاره في الـوهم كالعدم

أنـعى إلـيك بـيانا يـستـكين له أقوال كـل فـصيـح مـقول فـهم

أنـعي إليك إشارات العقول معا لم يـبـــق منـهن إلا دارس العلم

أنـعـــي وحـــبك أخـلاقا بطائفة كانـت مطـاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر مضـــى عـاد وفقدان الاولى إرم

وخلفوا معشرا يحذون لبستهم أعمى من البهم بل أعمى من النعم

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طلبت المـستـقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

وذقت من الزمان وذاق مني وجدت مـذاقـه حلوا ومرا

أطعت مطامعـي فاستعبدتني ولو أني قنعت لعشت حرا

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الاول. فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وجعل ينشد ويتمايل:

نديمي غير منـسوب إلى شـئ مـن الحـيف

فلـما دارت الـكأس دعا بالـنـطع والسـيـف

سقـــاني مثل ما يشر ب فعل الضيف بالضيف

كذا من يشرب الراح مع التـنيـن في الصيف

ثم قال: (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) [الشورى: ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل. قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه

ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.

قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه. وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول سمعت أبا الفاتك البغدادي - وكان صاحب الحلاج - قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي عز وجل وأنا أقول يا رب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت. ومنهم من قال: بل جزع عند القتل جزعا شديدا وبكى بكاء كثيرا، فالله أعلم.

وقال الخطيب: ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فدنوت منه فقال لاصحابه: لا يهولنكم هذا الامر، فإني عائد اليكم بعد ثلاثين يوما. ثم قتل فما عاد . وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: أدع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية، فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل.ثم قعطت يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوما. وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال: لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما القي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتهم. وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج. فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال: إن كان هذا الرأي صادقا فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به. كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.

قال الخطيب: واتفق له أن دجلة زادت في هذا العام زيادة كثيرة. فقال: إنما زادت لان رماد جثة الحلاج خالطها. وللعوام في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديما وحديثا. ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع. وكان قتله يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من سنة تسع وثلثمائة ببغداد. وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وحكى اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي أنه ذكره في مشكاة الانوار وتأول كلامه وحمله على ما يليق. ثم نقل ابن خلكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه ويقول إنه اتفق هو والجنابي وابن المقفع على إفساد عقائد الناس، وتفرقوا في البلاد فكان الجنابي في هجر والبحرين، وابن المقفع ببلاد الترك، ودخل الحلاج العراق، فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل.[1]

أهم عقائد وأفكار الحلاج التي قتل على أساسها

١ الإيمان بالحلول ، والحلول عقيدة فاسدة تعني أن الله عز وجل يحل في مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وقد عد الإمام عبد القاهر الحلاج وأتباعه من جملة عشر فرق من الحلولية خرجت عن فرق الإسلام ، وغرض جميعها "القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع"

ويقول عبد القاهر البغدادي أيضا : "والذين نسبوه إلى الكفر والى دين الحلولية حكوا عليه انه قال من هذب نفسه فى الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقى فى درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل

[1] الدباية والنهاية ٥٢٨١٧-٥٣٣

فيه روح الاله الذى حل فى عيسى بن مريم ولم يرد حينئذ شيئا الا كان كما اراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى وزعموا ان الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة"

"وذكر انه ظفروا بكتب له إلى اتباع عنوانها من الهو هورب الارباب المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان فظفروا بكتب اتباعه اليه وفيها يا ذات اللذات ومنتهى غاية الشهوات تشهد انك المتصور فى كل زمان بصورة وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجير لك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب"

ويقول الإمام ابن كثير عن الحلاج : ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك.

فمن ذلك قوله:

جبلت روحك في روحي كما يجبل العنبر في المسك الفنق

فإذا مسك شيئ مسني وإذا أنت أنا لا نفترق

وقوله:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيئ مسني فإذا أنت أنا في كل حال

٢- ادعاء النبوة ثم تطور به الحال فادعى الألوهية فكان يقول أنا الله . وأنا الحق. وفي إحدى المرات أمر حفيدته بالسجود له فقالت : أو يسجد بشر لبشر؟ فقال : نعم ، إله في السماء وإله في الأرض.

٣- انتقاصه من القرآن الكريم والادعاء بأنه يستطيع أن يكتب مثله، إذ يقول عمرو بن عثمان المكي : "كنت أماشيه يوما فقرأت شيئا من القرآن ، فقال (الحلاج): يمكنني أن أقول مثل هذا".

٤- له كلام يبطل به أركان الإسلام كالصلاة والحج والصيام ، وهو ما ينتحدث عنه عند تناول أيام الحلاج الأخيرة ومناقشة العلماء والفقهاء له.

٥- كان الحلاج لا يرى بأسا في الأديان والعقائد والمذاهب الموجودة ، كما ستجسد ذلك في قوله :

عقد الخلائق في الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويعلق كاتب مقال "من هو الحلاج " على بيت الشعر هذا قائلا :"وهذا الكلام ما تضمنه إقراره واعتقاده لجميع الكفر الذي اعتقدته الطوائف الضالة من البشر، فإنه مع ذلك كلام متناقض لا يقبله عقل صريح ، إذ كيف يعتقد التوحيد والشرك في آن واحد"؟!

٦- السحر والشعوذة والحيل. يقول ابن كثير :"وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال : أدعو به إلى الله ". وقد ذكر الخطيب البغدادي وغيره أمثلة لبعض ما كان يقوم به الحلاج من خداع البسطاء ليظهر أمام الناس أنه صاحب قدرات وكرامات ، وبالتالي نشر باطله وأخذ أموالهم.

٧- عرف عنه الانحراف والفجور. يقول ابن كثير بعد أن ذكر شيئا من عقيدته وأتباعه : "ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه ، أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له الدباس ، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئا كثيرا، وكذلك أحضرت زوجة ابنة سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة من ذلك : أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت ، فقال : قومي إلى الصلاة ، وإنما كان يريد أن يطأها".

وإذا كان حال الحلاج على النحو الذي ذكرنا من الزندقة والانحراف والإضلال فقد انبرى له العلماء والقضاة ، بل ولقد تبرأ منه عدد من معارفه منهم :

- عمرو بن عثمان الذي كان يعلن الحلاج ويقول لو قدرت عليه لقتلته بيبدي. ولما سئل عن سبب ذلك البغض قال: قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به.
- أبو يعقوب الأقطع : وهو والد زوجة الحلاج ، وقد ندم على تزويجه ابنته قائلا : زوجت لنبتي من الحسين الحلاج لما رأيت من طريقته واجتهاده،فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر.

وأيد كثير من الصوفية وحتى اليوم موقف الحلاج وأفكاره منهم : أبو العباس بن عطاء ، وأبو عبد الله بن حفيف ، وأبو القاسم النصر آبادي ، وفارس الدينوري وقد قال بعض هؤلاء :"لو كان بعد النبيين والصدقين موحد فهو الحلاج ".

وإضافة إلى الصوفية فقد انبرت في العصور المتأخرة فئة أخرى للدفاع عن الحلاج وأفكاره تتمثل بالمستشرقين والعلمانيين، فعامة المستشرقين يظهرون أن الحلاج قتل مظلوما، فقد وافقهم على الحلول الذي يعتقدونه في عيسى عليه السلام، بأن الله تعالى قد حل فيه ، ولهذا تكلم الحلاج باللاهوت والناسوت كما يفعل النصارى ، ومن ذلك قوله :

سبحان من أظهر ناسوته سر لاهوته الثاقب

ثم بدأ فتي خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

بل رأى بعض المستشرقين مثل الفرنسي بارتلوم دي هيربلوت في كتابه "المكتبة الشرقية" أن الحلاج "مسيحي متخف" وقد تبنى هذه النظرة كل من المستشرق أوغست موللر ، والمستشرق ألبردت ميركي ، وظهرت في الفترة الأخيرة دراسات في اللاهوت الشرقي ،أهمها أطروحة (ن،م،دهدال) ترى بأن الحلاج تم صلبه بسبب أفكاره النصرانية.

ازداد خطر الحلاج بعدما استمال عددا من الحشم والحجاب في دار السلطان ، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيي الموتى ، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه.

وقد انتبه الوزير حامد بن العباس مبكرا إل خطر الحلاج وإفساده ، وأخذ يلح على الخليفة العباسي المقتدر بالله بأن يتخذ إجراء حاسما ، إلا أن الحلاج حظي في وقت من الأوقات بحماية أم الخليفة ، ومن هنا يجب أخذ العبرة بضرورة الانتباه والرصد لبدايات المبتدعة واستشعار أخطارهم القادمة ، وعدم الركون لعواطف بعض الجهلة من المسؤولين ومعارفهم في حماية هؤلاء الزنادقة والذي سيكونون مصدر للمتاعب والفتن مستقبلا وهم في زمننا هذا – الزنادقة والجهلة المدافعون عنهم – كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولما فوض الوزير بأمر الحلاج ، استدعى عددا من أصحابه وأتباعه وهددهم ، فاعترفوا له بما كان يدعيه الحلاج ، وبما كانوا يعتقدونه من أنه إله مع الله وأنه يحيي الموتى فما كان من الحلاج إلا أن كذبهم وأنكر ، وأخذ يدعي الإيمان والالتزام بشرائع الإسلام.

وبحضور الوزير جيئ بالحلاج ، وأحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف ، ولأحضر كتاب عثر عليه في بيوت بعض أصحابه وأتباع الحلاج ، مكتوب فيه :

من أراد الحج ولم يتيسر له ، فليبن في داره بيتا لا يناله شيئ من النجاسة ، ولا يمكن أحدا من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام ، وليطف به كما يطوف بالكعبة ، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة .
ثم يستدعي ثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميصا قميصا، ويعطي كل واحد سبعة دراهم ....فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج.
وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا ، أجزأه ذلك عن صيام رمضان.

ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره ، أجزأه ذلك عن الصلا ة بعد ذلك.

وأن من جاور بمقابلر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ثم لا يفطر إلا على شيئ من الخبز الشعير والملح الجريش ، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره.

هال القاضي أبو عمر ما قرأ من زندقة الحلاج. ومحاولته إبطال أركان الإسلام ، فقال له : من أين لك هذا ؟

فقال الحلاج : من كتاب الإخلاص للحسن البصري.

فقال القاضي للحلاج : كذبت يا حلال الدم. قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيئ من هذا. وهذا من فطنة القاضي أنه لم يخدع بنسبة هذه الزندقة للحسن البصري ، وكم في زماننا من يخدع بنسبة كثير من الباطل لبعض العلماء السابقين !!

اغتنم الوزير حامد بن العباس قول القاضي للحلاج : يا حلال الدم ، فألح عليه بكتابة ذلك ، ورفع ما كتبه القاضي بحق الحلاج إلى الخليفة المقتدر الذي حكم بعد فترة انتظار دامت ثلاثة أيام بأن يسلم الحلاج إلى صاحب الشرطة ويضرب ألف سوط ، فإن مات وإلا ضربت عنقه .

فضرب ألف سوط ثم قتل وصلب في بغداد في ذي الحجة سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م)، وأحرق جسده ، وكان من آخر ما تحدث به قوله لأصحابه : لا يهولنكم هذا الأمر (أي إعدامي)، فإنني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما . [١]

الفصل الثاني : محيي الدين ابن عربي ترجمته وحياته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الأول : ترجمته وحياته

محيي الدين ابن عربي : محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بـ " الفتوحات المكية " في نحو عشرين مجلدا، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله كتاب العبادلة وديوان شعر رائق، وله مصنفات أخر كثيرة جدا، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتمال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال. قال أبو شامة: وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف، وكانت له جنازة حسنة، ودفن بمقبرة القاضي محيي الدين بن الزكي بقاسيون، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٦٨٨. وقال ابن السبط: كان يقول إنه يحفظ الاسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب، وكان فاضلا في علم التصوف، وله تصانيف كثيرة.[١]

ابن عربي : الرجل الذي كفره أكابر علماء الدين تعيينا باسمه لانهقال بكلام لم يقل به حتى اليهود والنصارى. والرجل الذي يبث سموما كثيرة ضل بها واضل في كتبه خصوصا كتابيه المشهورين"الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم"

وللأسف يمجد ابن عربي الكثيرون متغامنين عن كل أقواله وعن كل ما قاله أئمة الدين فيه.

وهو غير ابن العربي اللإمام المالكي وشتان بين السماء والأرض والفرق بينهم الألف واللام فالأول نكرة والثاني معرفة وهو غني عن التعريف عند أئمة المسلمين. بل كتب في بعض الكتب لابن عربي ابن العربي مثل سير أعلام النبلاء.[٢]

وهو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتم الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق ، ودخل بغداد ، وارتحل إلى مكة ، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ[٣]

---

[١] موسوعة الفتاوى islam web.net

[١] البداية والنهاية ٣٨١٩

[٢] ملتقى طلاب الجامعة المصرية

[٣] مصرع التصوف ص ٢٠

المبحث الثاني : عقيدة ابن عربي

هو من كبار مؤسسي – او بمعنى اصح مستوردي – مذهب الحلول والإتحاد إلى بلاد المسلمين وهو المذهب الذي يقتضي أن العبد رب والرب عبد وعليه فان من يعبدون الأصنام والأشجار والنجوم ما يعبدون في الحقيقة الا الله وعليه فان فرعون كان مؤمنا والجنة والنار هما نعيم وأنه لا تكليف ولا عقاب فالأمر كما ذكر هو – عليه من الله ما يستحق :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

- الفتوحات المكية –

وانظروا الى عقيدة الحلول متجسدة في كل أشعاره مثل :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلق جامع

تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فأنت الضيق الواسع

فإنا لله وإنا إليه راجعون يوصف الله بأنه ضيق ! وأنه حل في مخلوقاته تعالى الله عما يقول المبطلون . ودع عنك تفسيره العجيب لآيات القرآن الذي هو إلحاد صريح في آيات الله فيقول في كتابه الفصوص:" "قال يا أبت افعل ما تؤمر"؛ والولد عين أبيه. فما رأى يذبح سوى نفسه. وفداه بذبح عظيم، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان. وظهر بصورة ولد: لا، بل بحكم ولد من هو عين الوالد."وخلق منها زوجها": فما نكح سوى نفسِهِ " ... وإنا لله وإنا إليه رجعون .... والمفآجاة الكبرى التي يفجرها لنا ابن عربي أن قوم نوح لم يكفروا بل هم عبدوا الله في ذات يعوق ونسرا ويسوع فقال في الفصوص :" "ومكروا مكراً كباراً" لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فأجابوه مكراً كما دعاهم فقالوا في مكرهم: لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً. فإنهم لو تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء. فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله " هذا غير أنهم ما اغرقوا بالمعنى الذي نفهمه بل كما اخبر هو فى الفصوص غرقوا في العلم بالله إلى اخره من الكفريات التي عجت بها كتبه والتي ساكتفي منها بهذا القدر حفاظا على طهارة هذا الموضوع ولكن : ادعى محبي ابن عربي من غلاة الصوفية أن من كفر ابن عربي هو ابن تيمية فقط وهذا لكرههم الشديد لشيخ الاسلام ولكن بعيدا عن هذا لنرى معا هل كان ابن تيمية منفردا بتكفير ابن عربي أم اجتمع معه على ذلك ائمة المسلمين:

قال الذهبي عن كتابه ابن عربي فصوص الحكم :" ومِن أردئ تواليفه كتاب "الفصوص"! فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة. فوا غوثاه بالله " - السير - قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: "سألت شيخنا الإمام سراج الدين البُلقيني عن ابن عربي ، فبادر الجواب: بأنه كافر. فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد.؟ وأنشدته من التائية فقطع علي بعد إنشاء عدة أبيات بقوله: هذا كفر هذا كفر" وقال العز بن عبد السلام رحمه الله كما في السير: "شيخُ سوءٍ مقبوح ، يقول بِقِدَمِ العالم ، ولا يُحَرِّم فرجاً"

وقال تقي الدين السبكي رحمه الله :"ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره, فهم ضلال جهالٌ , خارجون عن طريقة الإسلام , فضلاً عن العلماء"

وهذا غير أبي حيان الأندلسي والجرزي والنقاش والموصلي والكتاني وابن هشام وابن تيمية وابن القيم وغيرهم

وهذه كانت نهاية ترجمة قزم من أقزام تاريخنا الاسلامي , افسد على الناس دينهم وخرب عقائدهم فعليه من الله ما يستحق[1]

- إيمانه بأن الله إنسان كبير

قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية: "لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها وإن شئت قلت :أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله لكونه متصفا بالوجود ويظهر به سره إليه فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة"

ثم قال:" فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم: بالإنسان الكبير"

ثم قال:" فسمى هذا المذكور: إنسانا وخليفة فأما إنسانيته فلعموم نشأته، وحصره الحقائق كلها، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر وهو المعبر عنه بالبصر؛ فلهذا سمي إنسانا فإنه به ينظر الحق إلى خلقه فيرحمهم، فهو الإنسان الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي." وفي هذا النص يذكر ابن عربي رأيه في الإنسان ، فيقرر أنه لاهوت وناسوت ، أو هو الله سبحانه وتعالى تعين في مادة ، ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد. تماما كالذات الإلهية عندهم ، فهو حق أزلى أبدي ،قديم سرمدي باعتبار لاهوتيته. وهو خلق حادث فإن متجدد الصور ، يتحول ، ويجري في تيار الصيرورية باعتبار ناسوتيته أي باعتباره مادة ، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية. ولذا فالإنسان عندهم: حق خلق

وقال ابن عربي : ولا شك أن المحدث قد ثبت حدوثه ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفه ما عدا الوجوب الذاتي فإن ذلك لا يصح في الحادث وإن كان واجب الوجود ولكن وجوبه بغيره لا بنفسه ثم قال فوصف نفسه لنا بنا فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا وإذا شهدنا شهد نفسه ولا نشك أنا كثيرون بالشخص والنوع وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا فنعلم قطعا أن ثم فارقا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد .[2]

- **آدم عند ابن عربي**

قال فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ولهذا قال لإبليس ٣٥ :ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وما هو إلا عين جمعه] الصورتين] صورة العالم وصورة الحق [وهما يدا الحق] ثم قال

---

[1] ملتقى طلاب الجامعة المصرية

[2] مصرع التصوف ص ٣٨،٣٩

فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال فيه كنت سمعه وبصره ما قال كنت عينه وأذنه .[٣]

☜ زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق

ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان ٩ للعالم وجود كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة الكلية ما ظهر حكم في الموجودات العينية ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق في وجوده ـ شعر

فالكل مفتقر ما الكل مستغني ... هذا هو الحق قد قلناه لا نكني

وابن عربي يعني "بالكل" الله والعالم ، وكلاهما عنده مفتقر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة ، ويفسر افتقار الخلق إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه ، لينتقل من الثبوت –وكل شيئ عند الزنديق ثابت قبل وجوده – إلى الوجود.

ثم إن الخلق عند ابن عربي ليس إلى أسماء الحق تعينت في صورة بدنية عنصرية ، ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة. بل مجازا. فوجوده حقيقة عن وجود الحق. فإذا تحدث الصوفي عن عجل السامري مثلا قال عنه : إنه اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى تعين في صورة العجل. أو هو الحق تبارك وتعالى سمي عجلا!!

وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية. أما افتقار الحق إلى الخلق ، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعيين أسماءه

أما افتقار الحق إلا الخلق فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته ، بل ماهيته في صور خلقية. فلولا المادة عند ابن عربي ما ظهرو للحق وجود ، ولا تعينت له ذات ، ولذا وضع الصوفية الحديث المفترى : (كنت كنزا مخيفا ، فخلقت الخلق فبي عرفوني) وما اذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا ، فكان مما قاله أن المراد بـ(فبي) محمد!! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف (فبي) يساوي عدد الناتج من حروف (محمد) فكلاهما على طريقة حساب الجمل :أبجد هوز الخ =٩٢!!

وكم صفقنا وانتشينا. ويذهب الطالب الصغيرإلى قريته ويحدث الناس بهذا ، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني رباني!![١]

☜ التنزيه والتشبيه

ثم قال في فص حكمه سبوحية في كلمة نوحية :"اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل، وإما صاحب سوء أدب ولكن إذا أطلقاه، وقالا به.

---

[٣] مصرع التصوف ص ٤٠

[١] مصرع التصوف ص ٤٠،٤١

فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه، ولم ير غير ذلك فقد أساء الأدب وأكذب الحق والرسل وهو لا يشعر ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولا سيما وقد علم أن ألسنة الشرائع الإلهية إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان.[1]

- **☜ كل شيء عندهم رب وإله**

قال ابن عربي :"فالأدنى من تخيل فيه - أي في كل معبود- الألوهية فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره ولهذا قال (:١٣ : ٣٣)"قل سموهم" فلو سموهم لسموهم حجارة وشجرا وكوكبا ولو قيل لهم: من عبدتم لقالوا: إلها ما كانوا يقولون: الله ولا الإله والأعلى ما تخيل بل قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر فالأدنى صاحب التخيل يقول ٣ : ٣٩" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا" والأعلى العالم يقول ٣٤ : ٣٢ "فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين" الذين خبت نار طبيعتهم فقالوا إلها ولم يقولوا طبيعة ".[2]

- **☜ الحق عين الخلق عنده**

قال في فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية:" ومن أسمائه الحسنى: العلي. على من؟ وما ثم إلا هو!! فهو العلي لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو فهو العلي لا علو إضافة لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس إلا العين الذي هو الذات فهو العلي لنفسه لا بالإضافة فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة لكن الوجوه الوجودية متفاضلة فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك نقول فيه: هو لا هو. أنت لا أنت.

قال الخراز : وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من [أسماء] المحدثات.[3]

- **☜ الوحدة المطلقة دين ابن عربي**

---

[1] مصرع التصوف ص ٤١
[2] مصرع التصوف ص ٥١،٥٢
[3] مصرع التصوف ص ٥٩-٦١

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور:" وأما قوله: فهو عين ما ظهر، وعين ما بطن، فهو كلام مسموم، ظاهره :القول بالوحدة المطلقة، وأن جميع مخلوقاته هي عينه، ويدل على إرادته لذلك صريحا قوله بعد ذلك :"وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات" وكذا قوله بعد ذلك:" والمتكلم واحد، وهو عين السامع" وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء .[1]

☜ صلة الخلق بالحق عند ابن عربي

قال ابن عربي في الفص الإدريسي أيضا:" وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود: والمعدود منه عدم، ومنه وجود، فقد يعدم الشيء من حيث الحس، وهو موجود من حيث العقل، فلا بد من عدد، ومن معدود، ولا بد من واحد ينشئ ذلك، فينشأ بسببه، فإن كل مرتبة من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلا، والعشرة [إلى أدنى، وإلى أكثر، إلى غير نهاية] ما هي مجموع، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد".

ثم قال ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين إثباتها علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه وإن كان قد تميز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة [لا] بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة[2]

☜ الطبيعة هي الله عند ابن عربي

ثم قال:" وخلق منها زوجها [فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحد في العدد،] فمن الطبيعة؟ ومن الظاهر منها؟ وما رأيناها نقصت بما ظهر منها، ولا زادت بعدم ما ظهر!! وما الذي ظهر غيرها؟ وما هي عين ما ظهر، لاختلاف الصور بالحكم عليها. فهذا بارد يابس، وهذا حار يابس، فجمع باليبس، وأبان بغير ذلك، والجامع الطبيعة [لا]، بل العين الطبيعة، فعالم الطبيعة صور في مرآة واحدة، لا بل صورة واحدة في [مرايا] مختلفة، فما ثم إلا حيرة ، لتفرق النظر، ومن عرف ما قلناه لم يحر، وإن كان في مزيد علم، فليس إلا من حكم المحل، والمحل عين العين الثابتة، فيها يتنوع الحق في المجلى، فتتنوع الأحكام عليه، فيقبل كل حكم، وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه، وما ثم إلا هذا- شعر-

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقا بذاك الوجه فادكروا

من يدر ما قال لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلا من له بصر

جمع وفرق فإن العين واحدة ... وهي الكثيرة لا تبقى ولا تذر

يزعم ابن عربي أن مظاهر الطبيعية هي عين الذات الإلهية ، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام ، فمنها ما نحكم عليه بأنه حيوان أو جماد :رطب أو يابس ، حار أو بارد. لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهي العالم الطبيعي. فيقال عن الذات

---

[1] مصرع التصوف ص ٦٣

[2] مصرع التصوف ص ٦٥،٦٦

الإلهية : إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد، وغير هذا . ويزعم ابن عربي أن الله نفسه هو الذي يحكم على نفسه بهذه الأحكام، أي يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعية !!وحسب الصوفية إيغالا في الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد !![1]

- **العبد عين الرب عنده**

ثم قال في فص حكمة علية في كلمة إسماعيلية :"والعبد من كان عند ربه مرضيا، وما ثم إلا من هو مرضي عند ربه، لأنه الذي يبقى عليه ربوبيته، فهو عنده مرضي، فهو سعيد" ثم قال- شعر:

فأنت عبد وأنت رب　　لمن له فيه أنت عبد

وأنت رب وأنت عبد　　لمن له في الخطاب عهد

فكل عقد عليه شخص　　يحله من سواه عقد

فرضي الله عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه، فهو مرضي، فتقابلت الحضرتان تقابل الأمثال، والأمثال أضداد، لأن المثلين حقيقة لا يجتمعان، إذ لا يتميزان، وما ثم إلا متميز، فما ثم مثل، فما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشئ لا يضاد نفسه.

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن　　فما ثم موصول وما ثم بائن

بذا جاء برهان العيان فما أرى　　بعيني إلا عينه إذ أعاين[2]

- **حكم ابن عربي بإيمان فرعون ونجاته**

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام، وأنه أراد قتله، وأن امرأته رضي الله عنها قالت:" قرة عين لي ولك فبه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها، كما قلنا، قال: وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهرا مطهرا، ليس فيه شئ من الخبث لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام والإسلام يجب ما قبله وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء حتى لا ييأس أحد من رحمة الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .[3]

- **النار عين الجنة عنده**

ثم قال:" الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، [والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز،] ٤٧ : ١٤ "فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله" لم يقل ووعيده، بل قال :وتتجاوز عن سيئاتهم مع أنه توعد على ذلك، فأثنى على إسماعيل عليه الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد.

---

[1] مصرع التصوف ص ٦٦، ٦٧

[2] مصرع التصوف ص ٧٠،٧١

[3] مصرع التصوف ص ١١٨،١١٩

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينها عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة لفظه وذاك لكالقشر والقشر صائن[1]

☜ إفك على الله

ثم قال:" اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة فإن الله تعالى يقول كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها" فذكر أن هويته [هي [عين الجوارح التي هي عين العبد فالهوية واحدة والجوارح مختلفة ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح كالماء حقيقة واحدة مختلف في الطعم باختلاف البقاع."[2]

☜ ابن عربي يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى في هذا الفص أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في مشهد واحد سنة ست وثمانين وخمسمائة، وأنه ما كلمه منهم إلا هود، وقال :"رأيته لطيف المحاورة عارفا بالأمور، كأشغالها، ودليلي على كشفه لها قوله:" ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم"سورة هود ٥٦، وأي بشارة للخلق أعظم من هذه؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن؟[3]

☜ فعل العبد عين فعل الرب عنده

وقال ابن عربي في فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية :

فإنا أعبد حقا وإن الله مولانا

وإنا عينه فاعلم إذا ما قلت إنسانا

فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا

فكن حقا وكن خلقا تكن بالله رحمانا

---

[1] مصرع التصوف ص ٧١

[2] مصرع التصوف ص ٨٤

[3] مصرع التصوف ص ٩٠

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية:" والعمل مقسم على ثمانية أعضاء من الإنسان وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها فلم يكن العامل غير الحق والصورة للعبد والهوية مدرجة فيه أي في اسمه لا غير؛ لأنه تعالى عين ما ظهر."[1]

- **الضال مهتد ، والكافر مؤمن**

ثم قال:" نحن على الصراط المستقيم الذي الرب عليه، لكون نواصينا في يده، وتستحيل مفارقتنا إياه، فنحن معه بالتضمين، وهو معنا بالتصريح، فإنه قال :"وهو معكم أينما كنتم" (الحديد ٤) ونحن معه بكونه آخذا بنواصينا، فهو تعالى مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم."

ثم قال في فص حكمة وجودية في كلمة داودية : "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء ٢٢) وإن اتفقنا، فنحن نعلم أنهما لو اختلفا [تقديرا] لنفذ حكم أحدهما، فالنافذ الحكم هو الإله على الحقيقة، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله، ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله، وإن خالف الحكم المقرر في الظاهر المسمى: شرعا؛ إذ لا ينفذ حكم إلا لله في نفس الأمر لأن الأمر الواقع في العالم إنما هو على حكم المشيئة."[2]

- **الشرائع أوهام عنده**

ثم قال ابن عربي:" فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية، وبه جاءت الشرائع المنزلة، فشبهت ونزهت :شبهت في التنزيه بالوهم، ونزهت في التشبيه بالعقل، فارتبط الكل بالكل، فلم يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه، قال الله تعالى:" ليس كمثله شيء"(الشورى ١١) فنزه وشبه "وهو السميع البصير" فشبه، وهي أعظم آية تنزيه نزلت، ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف، فهو أعلم العلماء بنفسه وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه."[1]

- **افتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم**

وقال في فص حكمة فردية في كلمة محمدية:" وإنما حبب إليه النساء، فحن إليهن؛ لأنه من باب حنين الكل إلى جزئه، فأبان بذلك عن الأمر في نفسه من جانب الحق في قوله في هذه النشأة الإنسانية العنصرية: ونفخت فيه من روحي. ثم وصف نفسه بشدة الشوق إلى لقائه، فقال للمشتاقين :يا داود إني أشد شوقا إليهم ".[2]

---

[1] مصرع التصوف ص٩٧-٩٨
[2] مصرع التصوف ص ١٠٠-١٠١
[1] مصرع التصوف ص ١٠٥،١٠٤
[2] مصرع التصوف ص ١٣٠، ١٣١

ثم ذكر العبد المؤمن، وأنه لا يرى ربه إلا بعد الموت، فاشتاق الحق لوجود هذه النسبة، يعني رؤية المؤمن له تعالى بالموت، ثم قال:" فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه، فما اشتاق إلا إلى نفسه، ألا تراه خلقه على صورته، لأنه من روحه، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة[٣٨]في جسده أخلاطا حدث عن نفخة اشتعال بما في جسده من الرطوبة، فكان روح الإنسان نارا، لأجل نشأته، ولهذا ما كلم الله تعالى موسى إلا في صورة النار [وجعل حاجته فيها، فلو كانت نشأته طبيعية، لكان روحه نارا]، وكنى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن، فإنه بهذا النفس الذي هو النفخة ظهر عينه [وباستعداد المنفوخ فيه كان الاشتعال نارا لا نورا] فبطن نفس الرحمن فيما كان [به] الإنسان إنسانا، ثم اشتق له [منه] شخصا على صورته سماه :امرأة، فظهرت بصورته، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحببت إليه النساء، فإن الله أحب من خلقه على صورته، وأسجد له ملائكته [النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم، وعلو نشأتهم الطبيعية] فمن هناك وقعت المناسبة، والصورة أعظم مناسبة، وأجلها وأكملها، فإنها زوج أي شفعت وجود الحق، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل، فصيرته زوجا فظهرت الثلاثة :حق، ورجل وامرأة فحن الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبب إليه ربه النساء، كما أحب الله من هو على صورته."[٣]

المبحث الثالث : المكفرون لابن عربي وأقوال العلماء فيه

وقد صرح بكفر هذا الرجل، ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنفه في ذلك، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي الصوفي في جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحراني، قال:" وقد كتب كل من راقب الله تعالى وخشيه، وامتنع كل من التبسه مخافة غيره، وغشيه، فالذي كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه، والذي امتيح فهو المسئول عن ذلك في يوم عرضه، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنة من المخالفين، فتلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التبيين. "

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى (كشف الغطا عن حقائق التوحيد) ،فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن دقيق العيد، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه :"حدثني محمد المفيد. حدثنا أبو الفتح اليعمري، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربي الطائي- فقال:" هو شيخ سوء كذاب"، وقال الصلاح خليل الصفدي في تاريخه: "سمعت أبا الفتح بن سيد الناس يقول: سمعت ابن دقيق العيد يقول: سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي، فقال :"هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا" وقال شيخنا العلامة محمد بن محمد بن علي بن يوسف [ويعرف] بابن الجرزي الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره، كما حكاه عنه ابن الأهدل: ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير من لفظه غير مرة، حدثني شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين

---

[٣] مصرع التصوف ص ١٣١،١٣٢

أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في آخر عمره :"لي أربعون ٤٢ سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها جوابا بين يدي الله تعالى، قال :سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي، فقال "شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا" انتهى .

وقال ابن تيمية في جواب السيف السعودي:" فكفره الفقيه أبو محمد بذلك، ولم يكن بعد ظهر من قوله: إن العالم هو الله والعالم صورة الله وهوية الله قال السيف المذكور: ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلاني، وحذر الناس من تصديقه، وبين في مصنفاته فساد قاعدته، وضلال طريقه في كتاب سماه [بالارتباط] ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط

ومنهم قاضي القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال: وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن في المنام فيما يخالف، أو يضاد قواعد الإسلام، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته، وتلاعبه برأيه وفتنته، وأما إنكاره -يعني ابن عربي- ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد فهو كافر به، عند علماء التوحيد وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود" والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي، وقال: إنه علق في ذم هذه الطائفة ثلاث كراريس، الأول سماه :البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد الثاني :لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد والثالث :أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص. كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة. يحذرون من طرقهم وزندقتهم. وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر:"

"أن هؤلاء جميع ما يبدونه من الكلام الحسن في مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب، فإن الدعاة إلى البدعة إن لم يكونوا ذوي بصيرة يستدرجون الخلق في دعوتهم، حتى يحلوهم عن أديانهم لا يستجاب لهم.

هذا ابن عربي عنده في أصوله أنه يجعل المعدومات أشياء ثابتة علويها وسفلها قبل وجودها فهي عنده ثابتة في القدم، لكن ليس لها وجود، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتي فقبل كل موجود من وجود عين الحق بحسب استعداده فظهر الكون بعين وجود الحق، فكان الظاهر هو الحق، فعنده: أنه لا وجود إلا للحق، ويستحيل عنده أن يكون ثم وجود محدث ، كما يقوله أهل الحق فإنهم يقولون وجود قديم، ووجود حادث، وهذا عنده، وعند أصحابه: أنه ليس بوجود حادث، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتي، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات[٤٣] فهو موجود بعينه، ومن شك أن هذا اعتقاده فليراجع كتبه الفصوص وغيرها، وعنده أنه لما فاض على الأكوان عين وجود الحق، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء، فإنها كثيرة متعددة، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود، وأن الحق أيضا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه وكل منهما يعبد الآخر."[1]

[1] مصرع التصوف ص ١٣٨-١٤٢

• ☜ رأي الذهبي

وممن صرح بكفره وأحسن في بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، فقال في كتابه (تاريخ الإسلام) بعد خط الحافظ سيف الدين بن المجد علي الحريري المتصوف:" فكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربي الذي هو محض الكفر والزندقة، لقال: هذا الدجال المنتظر، ولكن كان ابن العربي منقطعا عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولا يصرح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته ولهذا تمادى أمره، فلما كان على رأس السبعمائة جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحته، ودار بين العلماء كتابه الفصوص وقد خط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد الجعبري فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج [٥٢] البارنباري أنه سمع الشيخ إبراهيم يذكر ابن عربي: كان يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا، وحكى عنه ابن تيمية : أنه قال لما اجتمع بابن عربي :"رأيت شيخا نجسا يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله."[٢]

• وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتب فصوص الحكم

ما تقول السادة العلماء - أئمة الدين وهداة المسلمين : - في كتاب بين أظهر الناس زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس بإذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام زعم أنه رآه ؛ وأكثر كتابه ضد لما أنزله الله من كتبه المنزلة وعكس وضد عن أقوال أنبيائه المرسلة ؛ فمما قال فيه : إن آدم عليه السلام إنما سمي إنسانا لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام إنهم لو تركوا عبادتهم لود وسواع ويغوث ويعوق ونسر : لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء . ثم قال : فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله . فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى [عبد] وأن التفريق والكثرة : كالأعضاء في الصورة المحسوسة . ثم قال في قوم هود عليه السلام بأنهم حصلوا في عين القرب فزال البعد فزال مسمى جهنم في حقهم ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق مما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة فإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها وكانوا على صراط الرب المستقيم . ثم إنه أنكر فيه حكم الوعيد في حق كل من حقت [عليه] كلمة العذاب من سائر العبيد فهل يكفر من يصدقه في ذلك أم لا ؟ أو يرضى به منه أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان عاقلا بالغا ولم ينكره بلسانه أو بقلبه أم لا ؟ أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق للتبيان فقد أضر الإهمال بالضعفاء والجهال والله المستعان وعليه الاتكال أن يعجل بالملحدين النكال ؛ لصلاح الحال وحسم مادة الضلال .

الجواب

فأجاب : - الحمد لله - هذه الكلمات المذكورة المنكورة : كل كلمة منها هي من الكفر الذي لا نزاع فيه بين أهل الملل من المسلمين ؛ واليهود والنصارى ؛ فضلا عن كونه كفرا في شريعة الإسلام . فإن قول القائل : إن آدم للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر : يقتضي أن آدم جزء من الحق تعالى وتقدس وبعض منه وأنه أفضل أجزائه وأبعاضه ؛ وهذا هو حقيقة مذهب هؤلاء القوم وهو معروف من أقوالهم . الكلمة الثانية : توافق ذلك وهو قوله : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . ولهذا قال في تمام ذلك : فالأمر الخالق المخلوق والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة { فانظر ماذا ترى } { يا أبت افعل ما

---

[٢] مصرع التصوف ص ١٦٤،١٦٣

تؤمر } والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه ففديناه بذبح عظيم فظهر بصورة كبش : من ظهر بصورة إنسان وظهر بصورة ؛ لا بحكم ولد من هو عين الوالد { وخلق منها زوجها } فما نكح سوى نفسه . وقال في موضع : وهو الباطن عن كل فهم إلا عن فهم من قال : إن العالم صورته وهويته . وقال : ومن أسمائه الحسنى العلي على من وما ثم إلا هو وعن ماذا وما هو إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات . فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو . إلى أن قال : فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من ينطق عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه - وهو المسمى أبو سعيد الخراز - وغير ذلك من أسماء المحدثات . إلى أن قال : فالعلي لنفسه : هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة . وقال : ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ؟ وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق فهي من أولها إلى آخرها صفات له كما هي صفات المحدثات حق للحق وأمثال هذا الكلام . فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو فصوص الحكم وأمثاله مثل صاحبه القونوي والتلمساني وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم ؛ مذهبهم الذي هم عليه : أن الوجود واحد ؛ ويسمون أهل وحدة الوجود ويدعون التحقيق والعرفان وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات فكل ما يتصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم : عين الخالق وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلا ؛ بل عندهم ما ثم غير أصلا للخالق ولا سواه . ومن كلماتهم : ليس إلا الله . فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم لأنه ما عندهم له غير ؛ ولهذا جعلوا قوله تعالى { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } بمعنى قدر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ؛ إذ ليس عندهم غير له تتصور عبادته فكل عابد صنم إنما عبد الله . ولهذا جعل صاحب هذا الكتاب : عباد العجل مصيبين وذكر أن موسى أنكر على هارون إنكاره عليهم عبادة العجل . وقال : كان موسى أعلم بالأمر من هارون ؛ لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ؛ لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبدوا إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع ؛ فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتباعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء . ولهذا يجعلون فرعون من كبار العارفين المحققين وأنه كان مصيبا في دعواه الربوبية . كما قال في هذا الكتاب : ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه جار في العرف الناموسي لذلك . قال : { أنا ربكم الأعلى } أي وإن كان الكل أربابا بنسبة ما : فأنا الأعلى منهم ؛ بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيهم . ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله : لم ينكروه ؛ بل أقروا له بذلك وقالوا له : { فاقض ما أنت قاض } فالدولة لك فصح قول فرعون : { أنا ربكم الأعلى } وأنه كان عين الحق . ويكفيك معرفة بكفرهم : أن من أخف أقوالهم أن فرعون مات مؤمنا ؛ بريا من الذنوب كما قال : وكان موسى قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام والإسلام يجب ما قبله . وقد علم بالاضطرار من دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى : أن فرعون من أكفر الخلق بالله ؛ بل لم يقص الله في القرآن قصة كافر باسمه الخاص أعظم من قصة فرعون ولا ذكر عن أحد من الكفار من كفره وطغيانه وعلوه : أعظم مما ذكر عن فرعون . وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخلون أشد العذاب فإن لفظ آل فرعون : كلفظ آل إبراهيم وآل لوط وآل داود وآل أبي أوفى ؛ يدخل فيها المضاف باتفاق الناس فإذا جاءوا إلى أعظم عدو لله من الإنس أو من هو من أعظم أعدائه : فجعلوه مصيبا محقا فيما كفره به الله : علم أن ما قالوه أعظم من كفر اليهود والنصارى فكيف بسائر مقالاتهم ؟ .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الخالق تعالى بائن من مخلوقاته ، ليس في ذاته شيئ من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيئ من ذاته. [1]

الفصل الثالث : ابن الفارض ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء عنه

المبحث الأول : ترجمته

ناظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الاصل، المصري المولد والدار والوفاة، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه[2]. لقب بشرف الدين ، وهو من الغلاة الموغلين في وحدة الوجود ، يقول الشيخ الوكيل " ابن الفارض يزعم أنه منذ القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة النفس. ونص شيخ الإسلام ابن تيمية على ان ابن الفارض من أهل الألحاد القائلين بالحلول الاتحاد وحدة الوجود.

ورد بهامش الأصل ما نصه " ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة ، وحامل لواء الشعراء ، توفي سنة ٦٣٢ عن ست وخمسين إلا أشهرا. ذكره الذهبي في تاريخه " وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦ هـ ودفن بمصر. لا يدين ابن الفارض بالحلول ولا ابن عربي به أو بالاتحاد ، وإنما يدينان بالوحدة ، إذا الحلول يستلزم الاثنينية ، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غير أن في وقت ما، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى. زمما قرأته لابن إسرائيل تحكم بأنه على دين الوحدة لا الحلول أو الاتحاد.[3]

المبحث الثاني : أفكاره

فإذا اراد شخص أن يعرف عقيدته تمام المعرفة فليقرأ تائيته التي باح فيها بكل صراحة وتحد أن الله متحد بكل موجود، وأن ابن الفارض نفسه هو الممثل الكبير لله تعالى في صفاته وفي أفعاله، ولهذا فإنه يفسر كل ما في الوجود بأنه يصح أن يقال فيه : إن الله أوجده أو كل موجود هو أيضا ذلك الموجد.

وأن كل عبادة تقام فإنها توجه له أو لله لا فارق بينهما إلا في ذكر الاثنينية التي هي أيضا لا وجود لها عند استجلاء الحقيقة حيث تتلاشى الاثنينية ويصبح الوجود واحدا ممثلا في كل شيئ.

وإذا أردت تفصيل كل تلك الحقائق عنه فاقرأ تائيته أو الأبيات الآتية ، وانظر شرحها عند الشيخ عبد الرحمن الوكيل .

يقول ابن الفارض عن الذات الإلهية وتجليها له :

جلت في تجليها الوجود لناظري ... ففي كل مرئى أراها برؤية

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية

[2] البداية والنهاية ٢٥١٩

[3] مصرع التصوف ٥٢،٥٣

فـوصـفي إذ لـم تدع باثنين وصفها ... وهـيئـتـها إذ واحـد نـحـن هيئتي

فـإن دعـيت كنت المجيب وإن أكن ... مـنادى أجـابـت من دعـاني ولبت

فـقـد رفـعـت تـاء المـخاطـب بـيـننا ... وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

وكل الجهات الست نحوي توجـهت ... بـما تـم مـن نـسـك وحج وعمرة

لها صـلـواتـي فـي المقام أقـيمها ... وأشـهـد فـيها أنـها لـهـا صـلت

كـلانا مـصـل واحـد سـاجـد إلى ... حـقيقـته بالـجمـع فـي كل سجدة

وما كان لـي صـلى سـواي ولـم تكن ... صلاتـي لـغيري في أداء كل سجدة

ويقول عن معنى سجود الملائكة لآدم ، وأن الملائكة إنما هم صفة من صفاته لا خلق مستقل :

وفي شهدت الساجدين لمظهري ... فحققت أني كنت آدم سجدتي

شرحه الصوفي القاشاني بقوله :

"أي عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهري فعلمت حقيقة أني كنت في سجدتي آدم تلك السجدة وأن الملائكة يسجدون لي والملائكة صفة من صفاتي، فللساجد صفة مني تسجد لذاتي"[1]

ويقول ابن الفارض عن الذات الإلهية كما يتصور :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمـظهر حـوا قبل حكم البنوة

وتـظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة

فـفي مـرة لبنى وأخرى بثينة ... وآونـــة تـدعى بـعـزة عـزت

ومن هنا نشأ عند ابن الفارض الفوضى الفكرية في تداخل جميع الأديان الحق منها والباطل، حتى صارت بجميع أشكالها شكلا واحدا، وكأنه أراد أن يجمع بين الليل والنهار ، والحار والبارد، والحق والباطل، فتصور أن الملل كلها سواء كانت شركية وثنية أو مجوسية أو نصرانية أو يهودية، الكل عنده يرجع إلى مصدر واحد وحقيقة واحدة هي الله.

وتائيته المشهورة مليئة بتأكيد هذا الخلط والاضطراب ، فهو بعد أن قرر أن جميع العبادات وجميع الأفعال التي تصدر عن الناس هي نفسها أفعال الله قال عن المجوس :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم ... سـواى وإن لـم يعقدوا عقد نيتي

---

[1] فرق معاصرة ٨٤٩١٢-٨٥١

رأوا ضوء ناري مرة فتوهموه نارا فضلوا في الهدى بالأشعة[٢]

- شواهد من تائية ابن الفارض :

وإياك والإعراض عن كل صورة ممـوهـة أو حـالـة مستحيلة
فطيف خيال الظـل يـبدي إليك في كرى اللهو ما عنه الستائر شقت
ترى صور الأشياء تجلى عليك من وراء حجاب اللبس في كل خلعة
تجمـعت الأضـداد فيـها لـحكمه وأشكالها تبـدو على كـل هـيئة
صوامت تبدي النطق وهي سواكن تحرك تهـدي النور غير ضوية

ثم ذكر أنواعا من الأضداد في نيف وعشرين بيتا، ثم قال:

وكل الذي شاهدته فعـل واحد بـمـفرده لكـن بحجـب الأكنة
إذا ما أزال الستر لم تر غيره ولم يـبق بالأشـكال إشـكال ريبة
ويجمعنا في المظهرين تشابه ولـيسـت لحـالي حاله بشبيـهـة
فأشكاله كانت مـظاهـر فعله بسـتر تـلاشـت إذ تجـلى وولت
وكانت له بالفعل نفسي شبيهة وحسي كالأشكـال واللبس سترتي[١]

وقال ابن الفارض:

أممت إمامي في الحقيقة فـالورى ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي
يراها أمامي في صلاتي ناظـري ويشـهـدني قـلـبـي إمـام أئـمـتي
ولا غرو أن صلى الأنـام إلى أن ثـوت بـفـؤادي وهـي قـبـلة قبلتي
لها صـلـواتـي بـالمـقـام أقيمها وأشـهـد فـيـهـا أنـهـا لـي صلت
كـلانـا مـصـل سـاجـد إلـى حـقـيقـتـه بـالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتـي لـغيري في أدا كل ركعة

---

[٢] فرق معاصرة ٨٤٣١٢
[١] مصرع التصوف ص ٥٥

إلى كم أواخي الستر ها قد هتكته وحل أواخـي الحجب في عقد بيعتي
أفاد اتخـاذي حـبهـا لاتـحـادنا نـوادر عن عـاد المـحبـيـن شذت

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتـي بـذاتـي إذ تـحـلت تجلت
فوصـفـي إذ لـم تدع باثنين وصفها وهـيئـتها إذ واحـد نـحـن هيئتي
فإن دعـيـت كنت المجيب وإن أكن منـادي أجـابـت من دعاني ولبت
وإن نـطـقت كنت المناجي كذاك إن قصـصـت حـديثا إنما هي قصت
فقد رفعـت تـاء الـمخـاطـب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فجـاهد تـشـاهد فيك منك وراء ما وصـفـت سكوتا عن وجود سكينة

فمن بعد ما جاهدت شاهدت مشهدي وهادى لي إياي بل بي قدوتي
فـبـي مـوقـفـي لا بل إلي توجهي كذاك صلاتي لي ومني كعبتي[1]

• دين ابن الفارض :

وجـل في فـنـون الاتـحـاد ولا تـحد إلـى فئة في غيره العمر أفنت
فـواحـده الـجـم الـغـفير ومن عداه شرذمـة في غـيره العمر أفنت
فـمـت بـمـعـنـاه وعش فيه أو فمت معنـاه واتـبع أمـة فـيـه أمت
فأنت بهذا المجد أجدر من أخي اجتهاد مـجـد عـن رجـاء وخـيـفـة
فـألـغ الكـنى عـني ولا تـلـغ ألـكنا بها فهي من آثار صيغة صنعتي

وأي بـلاد الله حـلـت بـهـا فما أراهـا وفـي عـيـنـي حلت غير مـكة
وأي مـكـان ضـمـهـا حرم كذا أرى كـل دار أوطـنـت دار هـجرة
ومـا سـكـنـتـه فـهو بيت مقدس بـقـرة عـيـنـي فـيه أحشاي قـرت
ومسجدي الأقصى مساحب بردها وطـيـبي ثـرى أرض علـيها تمشـت
وشـكري لي والـبر مـني واصل إلـي ونـفـسـي بـاتـحـادي استبـدت
وثـم أمـور تـم لي كشف سترها بـصـحـو مـفـيـق عن سواي تغطـت
بـهـا لـم يـبـح مـن لـم يبح دمه وفـي الإشـارة مـعنى ما العبارة حدت

---

[1] مصرع التصوف ص ٦١،٦٢

وقلبي بيت فيه أسكن دونه ظهور صفاتي عنه من حجبيتي

ومنها يميني في ركن مقبل ومن قبلتي للحكم في في قبلتي

وحولي بالمعنى طوافي حقيقة ١٧ وسعيي لوجهي من صفائي لمروتي

وفي حرم من باطني أمن ظاهري ومن حوله يخشى تخطف جيرتي

وشفع وجودي في شهودي ظل في اتحادي وترا في تيقظ غفوتي

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

وقد جاءني مني رسول عليه ما عنت عزيز بي حريص لرأفة

ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري إلى دار بعث قبل إنذار بعثة

إلي رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت[1]

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

قال في شرح قوله :

منحتك علما إن ترد كشفه فرد سبيلي واشرع في اتباع شريعتي

قال:" يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع والترجمانية ويريد بقوله فرد سبيلي ما أريد به في قوله تعالى ١٢ : ١٠٨ :"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة" وبقوله: شريعتي شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

فمنبع صدا من شراب نقيعه لدي فدعني من سراب بقيعة

صدا ماء للعرب يضرب المثل به لعذوبته والنقيع البئر الكثيرة الماء يقول معللا البيت السابق الذي حاصله أمره باتباع شريعته والورود في سبيل هداه وطريقته ونهى عن متابعة غيره ممن يدعي التحقيق في العلم والمعرفة الحقيقية نحو علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة أن المورد العذب الهنئ النافع عندي ويختص بمشربي وهو المفهوم المطابق من الكتاب والسنة وإشاراتهما الغامضة بلا تأويل عقلي وتقليد بل على ما هو الأمر عليه فإن استطعت أن تخوص فيه وتشرب منه وإلا فدعني من سراب علوم علماء الظاهر وتأويلاتهم ومفهوماتهم التي ظاهرها لأجل الفصاحة وتركيب الدلائل تظهر وتغر السامع الغر فيحسبها شيئا نافعا له فإذا فتش عن حقيقتها لم يجد شيئا ولا تحقيق ولا معرفة فيها ولا طائل تحتها وكذلك دلائل الفلسفة في المسائل الإلهية تغر ولا تقر ولا تذكر عندي مذاهبهم ومقالاتهم ودلائلهم ولا تلتفت إلى ذلك تفز فوزا عظيما"

[1] مصرع التصوف ص ٦٧ -٦٩

هكذا كلام الفرغاني الذي يثنى ابن بنت ابن الفارض في مقدمة ٢١ الديوان عليه وشهد له أنه على نفس جده وهكذا يفعل في كل الأبيات مهما وجد شيئا من المتشابه في الكتاب أو السنة أجراه على ظاهره وجعله حجة في الاتحاد واستحسان الأفعال القبيحة من المكلفين فإن عجز بكون الشرع نص على قباحتها يقول إن فيها حسنا وقبحا من بعض الوجوه ولعل ذلك الوجه يقود أصحاب تلك المقالة إلى الخير ويسعى كل السعي في إسقاط الإنكار على أحد في فعل من الأفعال.[1]

- **إفك على الله**

وجاء حديث في اتحادي ثابت ... روايته في النقل غير ضعيفة
مشيرا بحب الحق بعد تقرب ... إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر ... بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فكلي لكلي طالب متوجه ... وبعضي لبعضي جاذب بالأعنة
ومني بدالي ما علي لبسته ... وعني البوادي بي إلي أعيدت

وفي شهدت الساجدين لمظهري ... فحققت أني كنت آدم سجدتي
تعانقت الأطراف عندي٤ وانطوى ... بساط السوى عدلا بحكم السوية

وليس ألست الأمس غيرا لمن غدا ... وجنحي غدا صبحى ويومي ليلتي
وسر بلى لله مرآة كشفها ... وإثبات معنى الجمع نفي المعية
ظهور صفاتي عن أسامي جوارحي ... مجازا بها للحكم نفسي تسمت
رقوم علوم في ستور هياكل ... على ما وراء الحس في النفس ورت

وأسماء ذاتي عن صفات جوانحي ... جوازا الأسرار بها الروح سرت

مظاهر لي بدوت فيها ولم أكن ... علي بخاف قبل موطن برزني ٢٢
ولما شعبت الصدع والتامت فطور ... شمل بفرق الوصف غير مشتت
تحققت أنا في الحقيقة واحد ... وأثبت صحو الجمع محو التشتت
وإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي[2]

---

[1] مصرع التصوف ص ٨١-٨٣
[2] مصرع التصوف ص ٨٤-٨٦

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجهالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه المقالة :

فلا تك مفتونا بحسك معجبا ... بنفسك موقوفا على لبس غرة
وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج ... هدى فرقة بالاتحاد تحدت
وصرح بإطلاق الجمال ولا تقل ... بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها ... معار له أو حسن كل مليحة

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق ... كمجنون ليلى أو كثير عزة
فكل صبا منهم إلى وصف لبسها ... لصورة حسن لاح في حسن صورة
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر ... فظنوا سواها وهي فيها تجلت
بدت باحتجاب واختفت بمظاهر ... على صبغ التلوين في كل برزة
ففي النشأة الأولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يصير بها أبا ... ويظهر بالزوجين حكم البنوة
وما برحت تبدو وتخفى لعلة ... على حسب الأوقات في كل حقبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة ... ٢٥ وآونة تدعى بعزة عزت
ولسن سواها لا ولا كن غيرها ... وما إن لها في حسنها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها ... كمالي بدت في غيرها وتزيت
بدوت لها في كل صب متيم ... بأي بديع حسنة وبأيت

وليسوا بغيري في الهوى لتقدم ... علي لسبق في الليالي القديمة
وما الملقوم غيري في هواها وإنما ... ظهرت [لهم] للبس في كل هيئة
ففي مرة قيسا وأخرى كثيرا ... وآونة أبدو جميل بثينة
تجليت فيهم ظاهرا واحتجبت باطنا ... بهم فاعجب لكشف بسترة
أسام بها كنت المسمي حقيقة ... وكنت لي البادي بنفس تخفت
وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

وليس معي في الكون شئ سواي ... والمعية لم تخطر على ألمعيتي[1]

[1] مصرع التصوف ص ٩٤-٩٦

ولا تحسبن الأمر عني خارجا ... فما ساد إلا داخل في عبودتي
ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهود بذمة
وفي عالم التركيب في كل صورة ... ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتي
وضربي لك الأمثال مني منة ... عليك بشأني مرة بعد مرة
تأمل مقامات السروجي واعتبر ... بتلوينه تحمل قبول مشورتي
وتدر التباس النفس بالحس باطنا ... بمظهرها في كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجليت نفسك ما ترى ... بغير مراء في المرائي الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر ... إليك بها عند انعكاس الأشعة
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه ... إليك بأكناف القصور المشيدة
أهل كان من ناجاك ثم سواك أم ... سمعت خطابا عن صداك للصوت
وقل لي من ألقى إليك علومه ... وقد ركدت منك الحواس بغفلة
وما كنت تدري قبل يومك ما جرى ... بأمسك أو ما سوف يجري بغدوة
فأصبحت ذا علم بأخبار منى مضى ... ٣٠ وأسرار من يأتي مدلا بخبرة
أتحسب من جاراك في سنة الكرى ... سواك بأنواع العلوم الجليلة
وما هي إلا النفس عند اشتغالها ... بعالمها عن مظهر البشرية
تجلت لها بالغيب في شكل عالم ... هداها إلى فهم المعاني الغريبة
ولا تك ممن طيشته دروسه ... بحيث استقلت عقله واستفزت
فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته مني وعني أخذته ... ونفسي كانت من عطائي ممدتي
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ... فهزل الملاهي جد نفس مجدة[1]

[1] مصرع التصوف ص ١٠٧ – ١٠٨

- موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نقل عن حالهما وما صدق ذلك من كلامهما أما ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جدا وكان له علم كثير في فنون كثيرة وله خداع كبير غر به خلقا فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين ممن خفي عليهم أمره أطبق العلماء على تكفيره وصار أمرا إجماعيا وأما ابن الفارض فأمره أسهل وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بعدالة ولا ولاية ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية ولا مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة واحدة على كثرة شعره فدل ذلك على سوء طويته ونقل القدح فيه نقلا قطعيا عن محبيه ومبغضيه فقد قال شراح تائية التابعون لطريقته والمنتقدون عليه من أهل السنة إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة ٦٥ على الإجمال.[٢]

- **المكفرون لابن الفارض**

وأما التفصيل والتعيين فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالما وهم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا فمن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام الشافعي والحافظ الفقيه الأصول تقي الدين ابن الصلاح الشافعي والإمام الفقيه المحدث الصوفي قطب الدين القسطلاني الشافعي والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي وشرح التائية وبين عواره فيها بيتا بيتا وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي والشيخ جمال الدين ابن الحاجب المالكي.

وممن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز الشافعي وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي والشرف عيسى الزواوي المالكي والسعد الحارثي الحنبلي والإمام أبو حيان الشافعي وأبو أمامة ابن النقاش الشافعي والحافظ شمس الدين الموصلي الشافعي وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي وشيخ الفقهاء الزين الكتناني الشافعي والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.

وممن يليهم الكمال جعفر الأدفوي الشافعي ونقل ذم التائية عن العلماء والبرهان إبراهيم السفاقسي المالكي والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي وممن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي الصوفي وكفر بعض من قال بحضرته إن ذلك يؤول وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب وما وسع المكفر إلا البراءة من الاتحادية ومذهبهم

وممن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي وقاضي القضاة حافظ عصره شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وقاضي القضاة شمس

---

[٢] مصرع التصوف ص ١٩٤-١٩٥

الدين البساطي المالكي وعلامة اليمن بدر الدين حسين ابن الأهدل الشريف الشافعي الصوفي كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين كتابا من مصنفاتهم ومصنفات غيرهم من العلماء وهي شرح التائية لابن حمدان وديباجة ديوان ابن الفارض و لحن العوام لابن خليل وتفسير أبي حيان البحر والنهر والفرقان لابن تيمية وقصيدة السفاقسي التي يقول فيها وكالششتري القونوي ابن فارض ... فلا برد الله ثراهم ولا أسقى والقونوي الذي ذكره صدر الدين ٦٦ صاحب ابن عربي وكتاب ابن أبي حجلة والميزان ولسانه لابن حجر والتاريخ لابن كثير بخطه وناصحة الموحدين للعلاء البخاري والفتاوي المكية للعراقي وتاريخ العينى وشرح التائية للبساطي وكشف الغطاء لابن الأهدل فهذه ستة عشر كتابا وقصيدة شهدت بكفره من بضع وعشرين عالما هم أعيان كل عصر.[1]

- **موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض**

وممن كفره قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي وقاضي القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتي ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي والشيخ يحيى العجيسي المالكي والعلامة شمس الدين البلاطنيسي الشافعي شيخ الشاميين في وقته وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندي الحنفي ابن صاحب الهداية والعلامة الصوفي كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعي والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعي والعلامة أبو القاسم النويري المالكي كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم فهؤلاء أعيان العلماء في عصر ابن الفارض وفي كل عصر أتى بعده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التي هي عمدة الإسلام فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره أما من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائليها

وأما من أدركناه فبشهادة الكتب في بعضهم وشهادة الثقاة في باقيهم هذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتي [2]

- تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواترا معنويا وقد علم بهذا عذر من كفره لو لم يكن له سند غير هذا فكيف وقد تأيد هذا بما في كلامه وكلام ابن عربي من الطامات التي منها منابذة العقل والشرع كما مضى.[1]

الفصل الرابع : أبو حامد الغزالي

المبحث الأول: ترجمته

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في

---

[1] مصرع التصوف ص ١٩٦-١٩٧
[2] مصرع التصوف ص ١٩٨
[1] مصرع التصوف ص ١٩٩

كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة اربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه، قال ابن الجوزي: وكتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمرا من غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج بن الجوزي، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشنيعا كثيرا، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين، وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد، وقد كان الغزالي يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين، وقد صنف ابن الجوزي كتابا على الاحياء وسماه علوم (الاحيا بأغاليط الاحيا، قال ابن الجوزي: ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطا واتخذ دارا حسنة، وغرس فيها بستانا أنيقا، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الاحاديث الصحاح، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال: أوصني، فقال: عليك بالاخلاص، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله.[٢]

المبحث الثاني : أفكاره

التوحيد عند الغزالي أربعة أقسام أفضلها وحدة الوجود

ينقسم التوحيد عند الغزالي "الأشعري " إلى أربعة أقسام .

رابعها : وهو أعظمها : أن لا يرى العبد في الوجود إلا واحدا وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد ،وتقسم التوحيد إلى توحيد شهودي وتوحيد وجودي.

قال الغزالي : "فإن قلت كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدا ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟

أجاب :"فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العالم ، لا يجوز أن تستر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر".

---

[٢] البداية والنهاية ١٨ ٣١١، ٣١٢

أضاف : " إن الشيئ يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحدا بنوع واعتبار آخر. وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر واحد إذ نقول: إنه إنسان واحد"

"فكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثيرة أعضائه عروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده.

فكذلك كل مل في الوجود من الخالق والمخلوق فهو باعتبار واحد من الاعتبارات: واحد، وباعتبار آخر سواه كثير.

ويستحسن طريقة الحلاج في وحدة الوجود.

وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث قال للغواص : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك: فأين الفناء في التوحيد ؟ "ثم أكد الغزالي عقيدته في وحدة الوجود قائلا :وليس مع الله موجود : بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة.

وقال في كتابه "مشكاة الأنوار" "العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلى الواحد الحق." فقال بعضهم :" أنا الحق " وقال الآخر :" سبحاني ما أعظم شأني"

ثم احتج ثانية بالحلاج وبشره الذي يقول فيه :

من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فهذه تقسينات أربعة للتوحيد ينتهي فيها الغزالي إلى عقيدة وحدة الوجود والاحتاج بالحلاج الذي ينقل الأحباش تحذر أحمد الرفاعي منه غاية التحذير.

ولقد حكم الأحباش بكفر سيد قطب لقوله بأن "الوجود الحقيقي إنما هو الله فقط" أليس هذا قولا بوحدة الوجود التي اتفق علماء المسلمين على كفر قائلها " غير أنهم بتحيزهم لا يتحدثون عن هذه الكلمات التي كان الزبيدي يقر الغزالي عليها ويشرحها ويصرح بأنه ليس في الوجود على الحقيقة إلا الله وأفعاله .

فانظر إلى المتعصبين المشوشين يتكمون على ما عند الغزالي من الانحراف فيظهرون من المصلحين بمظهر المصلح. أليس هذا دليل على أن الدافع على إنكارهم على ابن تيمية ليس نصرة الحق. لو كانوا يريدون الحق لأنكر وأعلى الغزالي عقيدته في وحدة الوجود.[1]

طعن الغزالي في النبوة :

---

[1] موسوعة أهل السنة ص ١٤٤

قال الحبشي : " من ادعى أن النبوة مكتسبة أو أنه يبلغ بصفاء القلب إلى مرتبتها أو ادعى أنه يوحى إليه وإن لم يدعي النبوة فهو كافر بالإجماع. وقد نقل هذه العبارة عمن سبقه وهو يعلم موقف الغزالي من النبوة لكنه يسقط عليه.

وقد اقتدى الغزالي بالفلاسفة في تقسيم خصائص النبوة إلى ثلاث. : قوة التخيل وقوة العقل وقوة النفس. وهذا نفسه هو كلام الفلسفة الذين يقولون أن النبوة مكتسبة.

قال الغزالي : إن في الأولياء من يكاد يشرك نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء.

قال : "ووراء العقل طورا آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب كما سيكون في المستقبل وقد أبى بعض العقلاء مدركات النبوة واستبعادها وهذا عين الجهال.

وقد أعطى الله خلقه أو نموذجا من خاصة النبوة. فالنبوة عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور، يحصل لها بور يظهر في نورها الغيب"

بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة وينتهي الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاد على صدورهم النور لا بالتعليم والدراسة والكتابة والكتب بل بالزهد في الدنيا. وهذه الرحمة ليست موقوفة على الأنبياء وحدهم وإنما هي ممنوعة هل من يستعد لتزكية النفس وتطهيرها.[٢]

ومن أقوال الغزالي في وحدة الوجود كما جاءت في كتابه إحياء علوم الدين قوله في ثنايا بيانه لما سماه مراتب التوحيد.....:

" والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .

والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق , وهو مقام المقربين , وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .

والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحدا , وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد ؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا , وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق.[١]

---

[٢] موسوعة أهل السنة ص ١١٥١

[١] فرق معاصرة ٨٥٤١٢،٨٥٣

المبحث الثالث : أقوال العلماء عنه

ومن القائلين بوحدة الوجود ووحدة الشهود أبو حامد الغزالي , ولقد تأثر الناس به كثيرا ؛ لأنه كان في وقته يداري كل طائفة ويتودد إليها بالموافقة , وخفي أمره على كثير من الناس فلم يفطنوا إلى تعلقه بوحدة الوجود , وإن كان قد صرح بها كثيرا في كتبه , خصوصا إحياء علوم الدين , وفي هذا يقول عنه عبد الرحمن الوكيل :

" لاتعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب فللغزالي وجوه عدة كان يرائي بها صنوف الناس في عصره , فهو أشعر ؛ لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراده على ذلك , وهو عدو للفلسفة ؛ لأن الجماهير على تلك العداوة , وهو متكلم ولكنه يتراءى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة .

أما هو في كتبه المضنون بها على غير أهلها فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه , وفي كتبه الأخرى تجده أشعريا تارة وسلفيا مشوبا بأشعرية تارة أخرى , وهكذا كان يلقى كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبون لا يهمه أكان وجه حق أو وجه باطل " .

وأما بالنسبة لرجوعه عن غلوه في التصوف , أو عدم رجوعه فقد قرر بعض العلماء أن الغزالي رجع عن تلك الأقوال الصوفية , إلا أن بعضهم شكك في رجوعه وتوبته , ومن هنا يقول عبد الرحمن الوكيل :

" يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقا , ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعا من تراث الغزالي , فكل ما له من كتب في أيديهم تراث صوفي ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل بالكتاب وبالسنة " .

ومن أقوال الغزالي في وحدة الوجود كما جاءت في كتابه إحياء علوم الدين قوله في ثنايا بيانه لما سماه مراتب التوحيد.....:

" والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام .

والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق , وهو مقام المقربين , وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .

والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحدا , وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد ؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا , وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق.

وفي هذا التعبير أمور تدل على وحدة الوجود ، وذلك فيما يلي:

١- وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد ، ويقصد به العقيدة السهلة الواضحة التي جاء بها الإسلام.

٢- في تقريره أن الذي يشاهد تلك الأمور عن طريق الكشف يراها كلها صادرة عن فاعل واحد هوالله تعالى ، وأنها عبارة عنه على ما فيها من خير وشر .

٣- قوله : لا يرى في الوجود إلا واحدا ، هذا هو عين القول بوحدة الوجود.

وعندما أورد استشكالا قد يرد في الذهن، وهو قوله :

"فإن قلت كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدا ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟

ولا شك أن هذا الاستشكال وارد ، وهو استشكال قوي جدا ويحتاج إلى جواب شاف ، فبماذا أجاب الغزالي عن هذا ؟ أجاب عن إيراد هذا السؤال بقوله :

:"فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العالم ، لا يجوز أن تستر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر" .

وهذا الجواب فيه اتهام لله بالتقصير في بيان أمر التوحيد ؛ حيث لم يبينه الله تعالى تمام البيان، ولا بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعرفه أحد إلا أرباب الكشف الصوفي الذين يعرفون كل تفاصيل التوحيد إلا أنهم لا يحبون إفشاء سر الربوبية ؛ لأنه يؤدي إلى الكفر حسب هذا الزعم ، والواقع أنه قد صدق، فإن هذا التوحيد الذي لا يعرفه إلا أصحاب الكشف هو نفسه التوحيد الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق وهو أمر لا يقر به أحد من المسلمين.

أما الجواب الثاني فهو مثل ضربه يفيد أنه قد يحصل تعدد أشياء في شيئ واحد دون فارق بينهما؛ وذلك كالإنسان وأعضائه فهو إنسان واحد ولكن له أعضاء كثيرة ؛ روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشاؤه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد أي إنسان.

وهذا الجواب أردأ من الذي قبله ، يريد أن يثبت لنا القول بوحدة الوجود قياسا على الوحدة المتكاملة بين الإنسان وأعضائه، وأردأ من هذا أيضا جعله هذه الأوصاف هي نفسها الفناء في التوحيد حسب ما أورده عن موقف جرى بين الحلاج والخواص.

حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال: في ما ذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل ، فقال الحسين –الحلاج- : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث فطالبه بالمقام الرابع.

أي أن الحلاج كان في المقام الثالث أو الرتبة الثالثة في التوحيد ، وهي أنه يرى الأشياء هي نفسها "الله". ولكن بطريق الواسطة والكشف فطالبه الخواص – والغزالي لإقراره كلام الخواص – بأن يرتقي إلى الدرجة الرابعة في تحقيق التوحيد ، وهي أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي (الفناء في التوحيد) بدون واسطة ولا كشف وبها يتحقق التوحيد.

وفي كتاب مشكاة الأنوار للغزالي تصريح بوحدة الوجود في أكثر من موضع ، ةقد فندها الشيخ عبد الرحمن الوكيل وأظهر عوارها.[1]

[1] فرق معاصرة ١٢ ٨٥٢-٨٥٦

الباب الرابع : الكرامات

الفصل الأول : تعريف الكرامات لغة وشرعا

الكرامة لغة :

" الكرم ضد اللؤم "[1] والكرامة أيضا طبق يوضع على رأس الحب ويقال : حمل إليه الكرامة وهي مثل النزل[2]

الكريم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجواد المهدي الذي لا ينفد عطائه[3]

الكرامة اصطلاحا :

الكرامة في الاصطلاح :هي أمر خارق للعادة يظهرها الله على أيدي أوليائه

قال البغدادي : اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة.[4]

وقال شارح الطحاوية: فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين.[5]

الفصل الثاني : أقوال العماء في الكرامات والراجح فيها

المذهب الأول : جواز على أيدي الصالحين. ولكنها لا تصل إلى الخوارق التي أظهرها الله عز وجل على أيدي أنبيائه ورسله لإثبات نبوته وهذا ما قرره ابن تيمية.

قال رحمه الله : ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشار كونهم في بعض كما قد يشار كونهم في بعض أعمالهم.

أراد رحمه الله أنهم قد يشاركونهم في غير المعجزة جعلها الله عز وجل لبيان صدق دعواهم من المعجزات الأخرى التي لم يقصد بها التحدي

قال رحمه الله : فإن آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى عما يشتركون فيه هم وأتباعهم مثل الإتيان بالقرآن. ومثل إخراج ناقة من الأرض.

المذهب الثاني : حواز وقوعها بدون حد

---

[1] الصحاح ص ٢٠١٩

[2] الصحاح ص ٢٠٢١

[3] لسان العرب ١٧٤

[4] أصول الدين ١٧٤ نقلا عن شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

[5] شرح الطحاوية ٥٥٨

فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي.

بل الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر ولا فرق إلى دعوى النبوة من النبي والصلالح من الولي.

وهذا مذهب الأشاعرة.

قال البغدادي : " اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة غير أن الفرق بينهما من وجهين:

أحدهما : تسمية ما يدل على صدق الأنبياء :"معجزة" وتسمية ما يظهر على الأولياء :"كرامة" للتميو بينهما.

والوجه الثاني : أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى به خصومه ويقول : إن لم تصدقوني فعارضوني لمثلها.

وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعيها فأن أطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيها لما أطلعه الله تعالى عليهما على حسن منزله صاحب الكرامة عنده أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال.

وفريق ثالث : وهو أن صاحب المعجزة ما من التبديل معصوم عن الكفر بعد ظهر المعجزة عليه.

وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله فوصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله فن بلعم بن باعوراء أوتي من هذا الباب ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء[1]

وقال الجويني : وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينغلق البحر وتنقلب العصا ثعبانان ويحيى الموتى كرامة لولي إلى غير ذلك من آيات الأنبياء.

وهذه الطريقة غير صديدة أيضا. والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارف الكرامات وقال بعد ذلك : فإن قيل فما الفرق بين الكرامة والمعجزة قلنا : لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة. وقال القاضي عبد الرحمن العيجي عن الأمور التي تحدث للأنبياء قبل نبوتهم :إنما هي كرامات وظهورها على الأولياء جائز والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء وقال كذلك : ثم إن خرق العادات إعجازا وكرامة عادة مستمرة

المذهب الثالث : المنع من وقوع خرق العادات لغيرالأنبياء وهذا قول المعتزلة وابن حزم ويذكر عن أبي إسحاق الإسفرائيني من الأشاعرة قال البغدادي : وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا في أهل بدعة ذا كرامة.

---

[1] اصول الدين ص ١٧٤ -١٧٥ (نقلا عن شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)

وقال ابن تيمية : وقالت طائفة لا تخرق إلا لنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين . وهذه الطريقة طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره. بل يحكى هذا القول عن أبي إسحاق الإسفرائيني وأبي محمد بن أبي يزيد ثم قال : ولكن كان في الحكاية عنهما غلطا وونما أرادوا الفرق بين الجنين.

قلت : ولكن ابن السبكي قال في ترجمة أبي إسحاق الاسفرائيني :ومن غرائبه :أنه أنه ينكر كرامات الأولياء.

وأورد ابن السبكي قوله وهو : وكل ما جاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي.

وقال : وإنما بالغ الكرامات : إجابة الدعوة أو موافاة ماء في بادية في غير موقع الماء ومضاهي ذلك ما ينحط عن خرق العادة.

وابن السبكي عقب عليه بأنه لا يبلغ قوله إلا درجة الإنكار كالمعتزلة والظاهر أنه يتفق مع المعتزلة في إنكار الخوارق كما يفهم من كلامهم.

القول الراجح في الكرامات :

القول الراجح هو ما يشهد له الدليل من الكتب والسنة ويأكده الواقع والحوادث التي ينقلها الثقات وهو ما ذهب إليه سلف الامة من جواز وقوعها بما دون خوارق الأنبياء. [1]

الفصل الثالث : الكرامات اوخوارق العادات عند الصوفية

للاولياء الحقيقيين كرامات لا تنكر، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم من الكرامات ماهو جدير بهم، وكان لغيرهم من الأولياء والعلماء كرامات كثيرة، وهدفنا هنا من ذكر الكرامات وخوارق العادات هو بيان تلك الكرامات والخوارق التي تتم على أيديس أناس ليسوا من أولياء الله، وليس لهم صلاح يؤهلهم لذلك.

وبيان أن ذلك من مكائد الشيطان وتلبيسه على الناس بأن يظهر لبعضهم أمورا غيبية تبدو كأنها كرامات من الله للشخص فيتخيل أنه بلغ منزلة عالية فاق الله فيها غيره من الناس، وأنه أصبح يماثل الأنبياء في كراماتهم وقربه من الله . وهذه الحال كثيرة الوقوع لمن يدعون أنهم اولياء الله ، وأكثرهم في الحقيقة أعداء له وموالين لشيطينهم.

ومن تلاعب الشياطين بهؤلاء : أن يسمع أحدهم صوتا من حجر أو شجر أو صنم يأمره وينهاه بأمور في بعضها الشرك بالله فيظن المغرور أن الله خاطبه أو الملائكة على سبيل الكرامة ، ومعلوم أن الله لا يأمرنا بالفحشاء ، والملائكة لا تأمر بالشرك بالله وإنما أولئك هم الشياطين يلبسون عليهم امورهم ، كما كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام أيضا.

---

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص

وقد يظن هؤلاء أن ذلك وحي من الله عليهم كما حصل لكثير من الذين قلت معرفتهم بالله كالمختار بن أبي عبيد الذي أخبرعنه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كذاب ثقيف وغيره ممن استهوتهم الشياطين.

ومنها : أن الشياطين قد تتمثل بصورة المستغاث به من الناس فيظن المشرك بالله أن هذه الصورة هي الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني ، أو أن ملكا جاء على صورته ، وإنما هو في الحقيقة شيطان تمثل له ليضله.

ومنها : أن تخاطب الشياطين بعض العباد الجهال ، ويوهمونه أن المهدي المنتظر وصاحب الزمان الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويغرونه بزخرف القول وشتى الوساوس حتى يصدق نفسه فيدعي المهدية وغير ذلك.

بل يبلغ الحال ببعضهم أن يرى الكعبة تطوف به ، ويرى عرشا عظيما وعليه صورة عظيمة وأنوارا وأشخاصا تصعد وتنزل فيظنها الملائكة بين يدي الله تعالى وأن الله كشف له النظر إليه.

وهذا يتطلب من المؤمن العاقل التنبه لمثل هذه المكائد الشيطانية بلجوئه إلى الله والاهتداء بهديه، وسوء الظن بنفسه الأمارة بالسوء ، وأن ينظر إلى نفسه من باب الذل والاحتقار والحاجة إلى ربه ، ويزن أعماله بامتثاله أوامر الله واجتنابه نواهيه ، فيحكم على نفسه عند ذلك بالتقصير أو القرب من الله تعالى.

ويكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء ، وأن لا يصدق ما يتراءى له من كرامات تنافي الإسلام ، مثل أنواع الكرامات التي تبجح بها بعض غلاة الصوفية لأنفسهم كما ذكرها المناوي ، وهي :

١- إحياء الموتى . وقد مثل بأبي عبيد اليسيري الذي أحيا دابته بعدما ماتت ، ومفرح الدماميني الذي أحيا الفراخ المشوية ، والكيلاني أبو يوسف الدهماني الذي أحيا لتلميذه ولده بعدما مات.

٢- ومن الكرامات التي يزعمونها أن الأولياء من الصوفية لهم القدرة على المشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض وظهور الشيئ في غير موضعه والمشي على السحاب وتحويل التراث إلى خبز وإبراء الأكمه والأبرص.

٣- ويذكر علي حرازم منهم أن الولي يملك كلمة التكوين فغذا أراد شيئا فإنه يقول له كن فيكون . وقد ذكر أمثلة كثيرة في كتابه جواهر المعاني لمثل هذا الخلط والكذب على الله وعلى الناس.

٤- ومن المعجزات والكرامات التي يملكها الأولياء من الصوفية – حسب زعمهم – سماع نطق الجمادات ، كما يزعم ابن عربي الذي ملأ كتبه بأنواع الأكاذيب حول تلك المعجزات والكرامات الصوفية.

٥- ضمانه الجنة لمن أطعم صوفيا أو قضى له حاجة؛ كما ضمن ذلك التجاني لكل من أجبه أو أطعمه أو أحسن إليه بأي شيئ كما يذكر التجانيون في كتبهم افتخارا بكرامات سيدهم التي منها هذه الكرامة التي أكدها علي حرازم والفوتي نقلا عن التجاني.[1]

[1] فرق معاصرة ص ٩٠٤-٩٠٦

الباب الخامس : أحوال سريلانكا في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود

سريلانكا جزيرة صغيرة يعيش فيها عشرة بالنسبة إلى المائة من المسلمين . وبينهم قوم صغير يعتقد الحلول والإتحاد ووحدة الوجود . وكانت هذه العقيدة الفاسدة في سريلانكا منذ أيام طويلة . هذه العقيدة الفاسدة انتشرت أولا في الشرق فقط . وحين تنشر هذه العقائد في الشرق علماء الشرق يمنعون انتشارها . ثم أعلن جمعية علماء سريلانكا ان هذا الاعتقاد كفر صريح . ومن يقول هذا القول فهو مرتد. ثم انتبه الناس لمنع هذه العقائد الفاسدة.

ففي تلك الأيام وقعت عدة مشكلات بين أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وبين المسلمين. وأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود يبذلون أموالهم كثيرا لنشرها. ثم أخذ ينقص أثرها بعد موت أحد رؤسائهم. وحينما مات رئيسهم وقع مشكلة كبيرة . لأنه آمن قبل الموت بأيام أن يدفن في مكان مخصص بناه بنفسه له ولكن منع المسلمون أن يدفن فيه. ثم حكم أن يدفن في مكان عام يدفن فيه موتى المسلمين. ثم دفن في المقبرة العامة. ولكن خاف المسلمون أن يتخذ أحباؤه قبره مكانا يعبد بعد الدفن. وأخذ المسلمون جثته ثم أحرقوا.ثم أخذ ينقص انتشار هذه العقائد الفاسدة.

وواحد من رؤساء هذه العقائد الفاسدة أعلن قبل سنة أنه رجع من هذه الأقوال وكانت له أيضا قوم عظيم. وبعد إعلانه أخذ تنقص رغبة الناس في هذه العقائد الفاسدة في تلك البلاد.

وأخذ تنتشر هذه العقائد الفاسدة منذ خمس سنوات في الجنوب خاصة في وليجاما. وهناك يعيش أحد رؤساء أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود. وهو ينشر عقيدته في إنترنت والمجلات حيث يتبذل أمولا كثيرة لنشر هذه الدعوة الضالة في أنحاء سريلانكا مع أنه يدعي انتسابه إلى أهل البيت.

وعلماء البلد أعرضوا عن عقيدته وأقواله ، وأعلن العلماء للناس أن هذه العقيدة عقيدة كفرية ،وهو من المرتدين ، ووقعت عدة مشكلات بين قومه وبين أهل السنة والجماعة. وضرب وسجن عدد من أهل السنة والجماعة مثل هذه المشكلات.

الباب السادس : الرد على أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

دعواهم الذين يدعى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود فاسدة وحجتهم داحضة

١. الآيات الداحضة لدعوى المشركين أن شيئا من خلق الله جزء منه كقوله تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين)وقوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون*سبحان الله عما يصفون)

لا شك أن وحدة الوجود تجعل العبادة كلهم جزءا من الله تعالى، بل هو هم وهم هو لا فرق، وهذا كفر مبين بنص القرآن الكريم ، إن الله سبحانه وتعالى لا يوجد بينه وبين خلقه نسبا، وهذا ينفي وحدة الوجود من أصلها ، فسبحان الله عما يصفه لظالمون الجاهلون.

٢. الآيات الدالة على أن الإنسان خلق من لا شيئ، كقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)،وقوله تعالى: (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)، لقد خلق الله الإنسان م عدم ،وهذا يدحض جهالة وحدة الوجود جملة وتفصيلا ، لأنها لو كانت واقعة لكان الإنسان شيئا قبل وجوده هو الآن شيئ بعد وجوده.

٣. الآيات الدالة على أن المخلوق غير الخالق وأن العبد غير المعبود ، كقوله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض)، وقوله عز وجل :(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيئ)، وقوله تعالى : (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)، وغيرها كثير، هذه الآيات تقرر أن العبد غير المعبود ولذلك فهي كافية لقمع كل جحود يؤمن بوحدة الوجود. إن كل حرف في كتاب الله ليتمخض عن تجريد التوحيد وينفض ركام الشرك ، وأي شرك أعظم من وحدة الوجود. إن خطر عقيدة "وحدة الوجود" وفسادها أمر عرفه القاصي والداني حتى أعداء الإسلام ، يقول المستشرق "نيكلسون" :"إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسما على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ(لا إله إلا الله) أصبح المراد بها لا موجود على الحقيقة إلا الله ، وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ومحو لهذا المعالم محوا كاملا "

وهكذا يعترف بفساد المعتقد الصوفي مستشرق ، ولا يزال أساطين الفكر الصوفي تائهون غارقون لا يعرفون ربهم ويزعمون أنهم سدنة الدين وحماته وحملة لوائه (ألا ساء ما يزرون)

ومن مذهب وحدة الجود نشأ عند المتصوفة الاعتقاد في الأقطاب ، والأوتادن والأبدال، والأغواث، والنجباء، بأن روح الله حلت فيهم، فهم المتصرفون في هذا الوجود، القائمون مقام الله في الخلق والأمر ، وهذا أيضا اعتقاد الشيعة في أئمتهم : "فإن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلاقة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وأن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك كقرب ن ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة(ع) كانوا قبل هذا العلم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين

إن الصوفيين وهم يجرون وراءهم ألوفا من المسلمين في كل أفق ، ولم ينسوا وقد رفعوا أضحاب الوقت إلى مقام الربوبية أو مقارب منه أن جعلوا للرسول مكانا بين هؤلاء المتصوفين في الكون خلقا وأمرا ، ونفعا وضرا، وقضاء وقدران فابتدعوا للرسول "الحقيقة المحمدية" التي أخرجوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عالم البشر، فجعلوه النور الذي خلق منه كل شيئ،

ولأجله كل شيئ (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلى كذبا) وإليك يفصيل ضلالتهم وردها :

١- محمد أصل الكون : (إن العقل الأول المنسوب إلى محمد خلق الله جبريل منه في الأزل، فكان محمد أبا لجبريل وأصلا لجميع العالم)

٢- محمد على العرش استوى :(أول الخلق هباء ، وأول مخلوق موجود فيه على الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بااستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي)

٣- النور المحمدي هو نور الله :"إن محمدا لما أبدعه الله حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية، حيث لا أين ، ولا بين قال له : أنا الملك وأنت الملك، وأنا المدبر وأنت الفلك ، وسأقيمك فيما يتكون منك سايسا ومدبرا وناهيا وآمرا تعطيها مما أعطيت ، وتكون فيها كما أنا فيك، فلست سواك كما لست سواى ، فأنت صفاتي فيهم وأسمائي....فتفصد عرقا حياء، فكان ذلك العرق الطاهر الماء وهو الماء الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنباء فقال : (وكان عرشه على الماء)

٤- محمد المهيمن على الكون (اعلم أن أنوار المكونات كلها عرش وفرش ، وسماوات وأرضين، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت من بعض نور محمد ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين فوق العرش لتفاهتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم لتفاهتت وتساقطت)

٥- الكون مخلوق من أجل محمد :

قال ابن نباتة المصري :" لولاه ما كان أرض ولا أفق ، ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وقال البوصري في "بردة المديح " : وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة لولاه لم تخرج الدنيا من العدم.

٦- محمد عالم الغيب والشهادة :

قال البوصري في"بردة المديح" : ومن جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم.

وخلاصة الحقيقة اللمحمدية عند الصوفية : أن الله تعالى عما يصفه الصوفيين قبض قبضة من نور وجهه فقال لها :كوني محمدا ، فكان محمد هو أول " التعيينات" وهي المسماة عندهم "الذات المحمدية"

ومن هذه "الذات المحمدية" انبثقت السماوات والأرض ، والأرض والدنيا والآخرة، وهي " التعيينات" فجميع التعيينات صدرت عن الذات المحمدية ، وراجعة إليها، وهذه هي "الحقيقة المحمدية " التي يؤمن بها ويدعو إليها جميع الطرق الصوفية. وهاك أدلتهم التي يستترون وراءها ويروجون بضاعتهم من أجلها :

أ- "أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"

ب- "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك "

وهذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل الصنعة، وانظر (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة٦٩٣) للزركشي ، (وتنزيه الشريعة ١\٣٤١) لابن عراق، و(الفوائد المجموعة٣٢٦) للشوكاني.

لقد سد الله الطريق على هؤلاء المغالين في رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاء في القرآن والسنة في بيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون حجة يقذف بها في وجه الباطل الذي يخرج من أفواه شيطانية ما قدرت الله حق قدره ، قال الله تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا* قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، وقال جل ثناؤه (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) ، وقال عز وجل :(قل لاأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا بشر يأتيني الخصم)

هذا الثوب البشري الذي لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مولده حتى لحق بجوار ربه عز وجل هو الذي دعى الناس للتأسي به والسير على خطواته ، ولو كان من غير عالمنا لما نزعنا لاتباعه والاقتداء بسنته ، ولقد صدق الله ، فقد قرر هذه الحقيقة بالألفاظ القرآنية المحكمة الدقيقة : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون* ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليه ما يلبسون)

الرد على عقيدة الحلول والاتحاد

١- هذه العقيدة كغيرها من العقائد تحتاج إلى دليل من الكتاب أو السنة صريح صحيح لأنه ما من عقيدة يجب لعلى المسلم اعتقادها إلا وضحها الله أتم وضوح في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- بين –سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم أن ذاته العلية لا تماثلها ذات على الإطلاق وكذلك صفاته لا تماثلها صفات- وأنه سبحانه وتعالى – ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير قال سبحانه وتعالى " ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير"

وهذه الآية يعني أنه لم يكن مثله شيئ فيما مضى ولن يكون مثله شيئ في المستقبل كما أنه ليس شيئ مماثل له الآن . وهي تدل دلالة واضحة على أنه لن يرقي شيئ من الأشياء إلى مماثلة الله أبدا فمن قال : إن الله يتحد مع الأولياء دل قوله على أن هناك اشياء مثل الله إن لم تكن مثله اليوم فسيأتي يوم وتكون مثله عندما يحل فيها الله أو يتحد معها وهذا من أبطل الباطل وأعظم الكفر.

٣- مما يدل على بطلان القول بأن الله يتحد بمخلوقاته أو يحل فيها أن الله حكم بالكفر على من قال هذا القول وذلك بتكفيره للنصارى الذين قالوا إن الله حل في عيسى وأمه فصاروا إلهتين.

٤- إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحد مع الله وهو خير البشر وأتقاها وأعبدها إلى ربه فكيف ممن دونه ومن الأدلة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل فيه الله أو يتحد هو من الله ما رواه الإمام مسلم في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي –

صلى الله عليه وسلم – قال :" فيأتوني : أي الناس فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فانطلق فآتسي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قلبي. ثم قال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي ".[1]

والحديث من أوضح الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى لم يحل في النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتحد معه. فلو كان الله متحدا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى تحت العرش ووقع ساجدا لله ثم انتظر الإذن برفع رأسه والشفاعة.

وكذلك قول الناس للنبي صلى الله عليه أنت رسول الله : ولم يقولوا له أنت الله ولم يقولوا له كذلك أنت الذي حل الله فيك واتحد معك. فلو كان هذا من فضائله التي أنعم الله بها عليه لذكروها له ووصفوه بها كما قالوا له : أنت الذي غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

وفي قوله تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم : "يا محمد ارفع رأسك : دليل عظيم كذلك على أنه سبحانه وتعالى لم يتحد مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحل فيه وإلا لما خاطبه أصلا إذ كيف يخاطب نفسه ويقول يا محمد ارفع رأسك".

فتبين من الدليل أن خاتم الأنبياء والمرسلين لم يحل الله فيه ولم يتحد معه . فدل هذا بما لا يدع مجالا للشك بطلان قول المتصوفة أن الله يحل في اصالحين ويتحد معهم.

منقول من كتب شعر البرعي في ميزان كتاب الشريعة .

الرد على وحدة الوجود :

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى بائن عن خلقه مستو على عرشه وقد نقل الذهبي في كتاب العلو ما يزيد عن عشرين إجماعا على ذلك.

وقد كفر أئمة الإسلام القائلين بعقيدة وحدة الوجود ومن هؤلاء الأئمة سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس والأوزاعي وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كما نقل ذلك شيخ الإسلام في رسائله.

أدلة بطلان هذه العقيدة الكفرية:-

١- قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) نجد في هذه الآية أن الله قد كفر من قال إن الله هو المسيح فكيف بمن يقول إن الله هو جنس الكفار واليهود والنصارى الكلاب والخنازير والقاذورات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

٢- عندما ادعى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه رد عليهم سبحانه وتعالى قائلا(قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) فإذا نفي الله كون أن اليهود والنصارى هم

---

[1] مسلم ٤٨٠

أبناء الله وأحباؤه فكيف يزعم هؤلاء أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق.

٣- قال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد غلمت الجنة إنهم لمحضرون)فإذا كان الله سبحانه وتعالى ينفي مجرد النسب بينه وبين الجن والإنس فكيف يكون هو عينهم.

٤- يلزم من القول بوحدة الوجود أزلية الإنسان وأنه كان شيئا ما قبل أن يكون وقد تواترت الآيات في كتاب الله التي تبين أن الله قد خلق الإنسان من عدم ومن بعد إن لم يكن شيئا وهذا ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلا من ذلك قوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) وقال تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) وقال تعالى (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا)

٥- يلزم من هذه العقيدة عددمن الإلزامات الباطلة منها :

- سقوط التكاليف عن المكلفين لأنه إذا كان العبد هو جنس الرب فلما العبادة ولما الأمر ولما النهي
- إبطال الثواب والعقاب وإبطال الجنة والنر إذ كيف يعذب الرب نفسه.
- تعطيل الكثير من اسماء الله وصفاته مثل الخالق والبارئ والفاطر لأن وحدة الوجود لا تثبت مخلوقا .
- تصحيح أديان الملل الباطلة من وثنيين ويهود ونصارى لأنه إذا كان الله هو كل شيئ في الوجود إذا كان من عبد شيئ فهو قد عبد الله لذلك نجد أن أصحاب هذه الملة يصححون عبادة أهل العجل لعجلهم ويرون إيمان إبليس ويرون أن فرعون هو من اشد المؤمنين.
- والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب أن عقائد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود من أكفر العقائد في هذه الدنيا وأن علماء الإسلام وقفوا ضدها بكل حزم وعزم ألفوا في الرد على أصحابها كتبا ووصفوا معتنقيها بأنهم ملاحدة كفرة وعلى هذا فكل من يعقد بهذه العقيدة الإلحادية ليس من الإسلام في شيئ.

خاتمــة

تم بعون الله هذا البحث "الحلول والاتحاد" وكان في فؤادي رغبة شديدة منذ سنين في الخوض في معرفة عقيدة الحلول.وكنت أحتاج إلى سادته هذه العقيدة الفاسدة حتى أن أحد رؤسائها يعيش في بلدنا. بحثت في عدة كتب وجدت فيها هذا الموضوع ثم كتبت. وهذا البحث لا يكاد يخلو من خطأ أو زلة فالرجاء من القارئ أن ينبه على ما يقف عليه من الأخطاء فما وجد من الخطأ فهو من عند نفسي من قلة بضاعتي في هذا الموضوع فما كان صيحيا وموافقا للكتاب والسنة من منة الله علي.

أخوكم في الله

حصن الرحمن بن فتح الرحمن

الإنتهاء : ١٩ /١٠/ ١٤٢٩هـ

١٩ /١٠ ٢٠٠٨م

المراجع والمصادر

- مصرع التصرف — للشيخ برهان الدين البقاعي (٨٠٩ – ٨٨٠)
  تحقيق للشيخ عبد الرحمن الوكيل
  دار القمة دار الإيمان
- البداية والنهاية — لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ دار الفكر
- الفرق بين الفرق — للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى ٤٦٩ هـ
  الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ دار المعرفة
- شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة — للشيخ الإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن منصور الطبري اللالكائي المتوفى ٤١٨
  تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
  الطبعة التاسعة ١٤٢٦ هـ
- فرق معاصرة — الدكتور غالب بن علي عواجي
  الطبعة الثالثة ١٤١٨ دار البيعة
- موسوعة أهل السنة — للشيخ عبد الرحمن دمشقي
  الطبعة الأولى ١٤١٨ دار المسلم
- لسان العرب — للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ
  الطبعة الألى ٢٠٠٢ دار الكتب العلمية

فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور

الآيات	السور	رقم الآيات	الصفحة
يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	آل عمران	١٠٢	١
واعتصموا بحبل الله جميعا	آل عمران	١٠٣	٢
يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم	نساء	١	١
لوجد الله توابا الرحيما	نساء	٦٤	١٥
يجدالله غفورا	نساء	١١٠	١٥
ليس بأمانيكم ولا أماني	نساء	١٢٣	١٤
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله	المائدة	١٨	١٣
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح	المائدة	٧٢	١١
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا	نحل	٣٦	٢
وقضى ألا تعبدوا إلا أياه	الإسراء	٢٣	١٠
ووجد الله عنده	النور	٣٩	١٥
يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولو	الأحزاب	٧٠،٧١	١
وما خلقت الجن والإنس	الذاريات	٥٦	٢
هو الأول والآخر والظاهر والباطن	حديد	٣	١٥
أنا ربكم الأعلى	النازعات	٢٤	١١

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	٠١
خطة البحث	٠٣
الباب الأول : الحلول والإتحاد	٠٥
الفصل الأول : تعريف الحلول والإتحاد لغة وشرعا	٠٥
الحلول والإتحاد	٠٦
الفصل الثاني : علاقة الحلول والإتحاد بنفي الصفات	١٠
الفصل الثالث : الفرق بين الحلول والإتحاد	١٣
الباب الثاني : وحدة الوجود	١٥
الفصل الأول : تعريف وحدة الوجود	١٥
الفصل الثاني : الفرق بين الحلول والإتحاد ووحدة الوجود	٢١
الباب الثالث : أهم أشخاص في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود	٢٢
الفصل الأول : الحلاج ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء فيه	٢٢
المبحث الأول : ترجمته	٢٢
المبحث الثاني : ذكر أشياء من حيل الحلاج	٢٦
المبحث الثالث : ذكر صفة مقتل الحلاج	٢٨
أهم عقائد وأفكار الحلاج التي قتل على أساسها	٣١
الفصل الثاني : ابن عربي ترجمته وحياته وأفكاره وأقوال العلماء فيه	٣٥
المبحث الأول : ترجمته وحياته	٣٥
المبحث الثاني : عقيدة ابن عربي	٣٥
الممبحث الثالث : المكفرون لابن عربي وأقوال العلماء فيه	٤٤
الفصل الثالث : ابن الفارض ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء فيه	٤٨
المبحث الأول : ترجمته	٤٨

المبحث الثاني : أفكاره	٤٨
المبحث الثالث : أقوال العلماء فيه	٥٦
الفصل الرابع : أبو حامد الغزالي ترجمته وأفكاره وأقوال العلماء فيه	٥٧
المبحث الأول : ترجمته	٥٧
المبحث الثاني : أفكاره	٥٨
المبحث الثالث : أقوال العلماء فيه	٦١
الباب الرابع : الكرامات	٦٤
الفصل الأول : تعريف الكرامات لغة وشرعا	٦٤
الفصل الثاني : أقوال العلماء في الكرامات والراجع فيها	٦٤
الفصل الثالث : الكرامات وخوارق العادات عند الصوفية	٦٥
الباب الخامس : أحوال سريلانكا في الحلول والإتحاد ووحدة الوجود	٦٦
الباب السادس : الرد على أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود	٦٩
خاتمة	٧٥
المراجع والمصادر	٧٦
فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور	٧٨
فهرس الموضوعات	٧٩